اقرأ
سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف

[٧٧٤]

نهر النيل
"شريان الخير"

رئيس مجلس الإدارة
د. حسن أبو طالب

سلسلة اقرأ
صدر العدد
الأول سنة ١٩٤٣

اسم الكتاب: نهر النيل شريان الخير
رقم الإيداع: ١٣٧٤٨ / ٢٠١٤
تدمك: 8 - 7987 - 02 -977 - 978
مقاس الكتاب: ١٢ / ١٦,٥ سم
عدد الصفحات: ١٣٦ صفحة
القاهرة: الطبعة الاولى ٢٠١٤

تم التنفيذ فى مطابع دار المعارف
- ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة -
جمهورية مصر العربية

لا يجوز استنساخ أى جزء من هذا الكتاب بأى طريقة كانت إلا بعد الحصول على تصريح كتابى من دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

بسام الشماع

نهر النيل
"شريان الخير"

الماضى والحاضر والمستقبل

الطبعة الأولى
٢٠١٤م

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠

اقرأ

إن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها، لم يفكروا إلا في شيء واحد، هو نشر الثقافة من حيث هي ثقافة، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية. وأن ينتفعوا، وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة، والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التي نحياها.

طه حسين

دار المعارف

أحلام شهرزاد – العدد الأول من سلسلة اقرأ الشهرية صدر عام ١٩٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾

صدق الله العظيم

سورة «الأنبياء»
الآية رقم ٣٠

المقدمة

"من أراد أن يذكـر الفردوس أو ينظر إلى مثلها فى الدنيا فلينظر إلى أرض مصـر حين يخضر زرعها وتنوّر ثمارها"، لم أجد أجمل أو أرق مـن هـذه الكلمـات المعبرة والتـى قالها "عبد الله بـن عمر بن الخطـاب" رضى الله عنهما واصفا مصـر، أرض الكنانة التى وهبها الله سبحانه وتعالى العديد من الهبات ومنها نهر النيل. شق هذا المجرى المائى العظيم صحـراء إفريقيا بداية من منابعه، عابرا عددا من الدول حتى محطته الأخيرة ألا وهى مصر. هذا الجسـد المائى الرشـيق الذى قامت على ضفتيه حضارة هى الأقدم والأقوى والأكثر ابتكارا وإنجازا، هى حضارة المصريين الأوائـل القدماء. فلولا هذا الكم من المياه والطمى الذى يكسو الأراضى المتاخمة لمجراه وفيضانه ما كان قد تشجع المصرى فى الأزمنة القديمة للنزول من الجبال والكهوف ليستقر على ضفتيه. لأن نهـر النيـل، أعزائى القراء، هو سـبب طبيعى مهـم فى تجمع المصريـين حوله لتبدأ حضارة تليدة أثرت – وما زالت – فى حضارات العالم أجمع، كان لزاما علىَّ – بل يعتبر واجبا قوميا وشـرفا ما بعده شـرف – أن أكتـب هـذا الكتاب لكـى يطلع عليه الجميـع. بجانب الاسـتفادة الثقافيـة والعلمية والتاريخيـة التى يجنيهـا قارئ هذا

الكتـــاب، يوجد أيضـــا العديد من النصائح فى كيفيـــة التعامل مع نهر النيـــل والمحافظـــة على مياهه ونظافتها حتى يتســـنى لنا الاســـتفادة الكاملـــة من هذه الهدية الســـماوية. ونفرد أيضا فـــى هذا العمل كيف احترم المصرى القديم هذا النهـــر وحافظ عليه، ونذكر بعض النصوص الهيروغليفيـــة المترجمـــة التى تكلمت عـــن نهر النيـــل. دعونى الآن أصطحبكم فـــى رحلة نيلية على متن قارب زمنـــى مصنوع من البردى المصرى لكـــى نتعرف إلى تاريـــخ وسمات وعجائب نهـــر النيل، نهر الحياة.

■ ■ ■

تـاريخ التكـوين

نهـر النيل يصل طولـه إلى أكثر من ٦٧٠٠ كيلو مـترا، وهو نهر متشعب له أكثر من رافد ومجرى وفرع ولكنه لم يكن بهذا الشكل الذى نراه الآن عندما نزوره أو ندرسـه عـبر الخرائط وعلم الجغرافيا. فلقد مرَّ النيل بعـدة فترات زمنية وتغيرات تضاريسـية وتقلبات مناخية (ومازال) أثرت فى تكوينه وتشـكيله واتجاهات جريانه والتى يغلب عليها سـريان مياهه من الجنوب إلى الشـمال. هـذه الصفة الطبيعية يتفـرد بها نهر النيل، فعدد الأنهار الطويلة التى تجرى من الجنوب إلى الشمال محدود جدا إذا لم يكن منعدما، علماء الأنهار والجيولوجيا والجغرافيا والطبيعة على مر السنين وحتى الآن يهتمون دائما بدراسة ظواهر هذا النهر مثل فيضاناته وأوقاتها وقوته وكيفية تعامل الشعوب الإفريقيـة معه. يعتقد بعض العلماء أن عمر نهر النيل الحالى يصل إلى حوالى ٦ مليون عام، وهذا الرقم فى علم الجيولوجيا رقم صغير وبسيط، ولذلـك يعتبر النيل نهرا وليدا وصغير السـن إذ ما قورن بالتكوينات المائية والصخرية الأخرى.

كان النيـل قديمـا يصل بمياهه حتـى مصر العليا فقـط (كان هذا قبل عصر الأسـرات والفراعنة والحضارة المصريـة القديمة) ثم حدث أن تشـكل مجـرى (فالق) كبير فى أرض مصر شـق طريقه حتى وصل

إلى خليج جاف فى شمال مصر كان من ضمن خلجان البحر المتوسط الذى كان جافا فى ذلك الوقت. وسبب جفاف البحر المتوسط فى هذه الفترة أن الاهتزازات والتغيرات الجغرافية أدت إلى غلق مضيق جبل طارق الواقع بين المغرب وإسبانيا الآن (كان يطلق عليه قديما "أعمدة هرقل")، وبالتالى انسد المصدر المائى الوحيد الذى يمول البحر المتوسط (أو الأخضر الكبير كما أطلق عليه المصريون الأوائل والقدماء) والذى كان يجرى بمياه المحيط الأطلنطى المالحة إلى المتوسط عبر هذا المضيق. نتيجة لهذا الحدث الطبيعى بدأت مياه المتوسط فى التبخر حتى جف كل البحر فظهرت تلك الخلجان ومنها هذا الخليج الكائن فى شمال مصر والذى بدأ النيل يصب فى مياهه الغزيرة وخصوصا فى فترة هطول الأمطار الغزيرة على هضبة الحبشة وامتلاء بحيرة فيكتوريا وتانا وغيرها من البحيرات الممولة للنيل. مع اختلاط مياه النيل بالطمى والغرينة المخصبة لتربة فى فترة الفيضان، تكونت طبقات من التربة الخصبة فى هذا الخليج، وارتفعت رويدا رويدا حتى تكون ما نسميه الآن الدلتا. هذه التسمية تأتى من أصل يونانى لأن شكل الدلتا يشبه حرف دلتا فى الهجائية اليونانية وشكلها عبارة عن مثلث مقلوب، قاعدته إلى أعلى وقمته المدببة إلى أسفل. بالنسبة لى، وكمحب لتراب أرض الكنانة مصر ونيلها العظيم، أنظر إلى الدلتا فأجدها مثل زهرة اللوتس المصرية والتى كانت ترمز إلى مصر الدنيا والمملكة التاج الأحمر المصرية القديمة، ولقد كانت ترمز أيضا للوفاء والإخلاص والحب.

زهـرة اللوتـس أو البشـنين أو السوسـن (اللوتس الأبيـض) وألوانه الأخرى المختلفة كانت تسـتعمل لعمل العطـور ولتزيين المنازل وعمل باقـات الورد التى تُهدى. يعتقد بعـض العلماء أن جذوره كانت تأكل بعد شيها أو سـلقها وتُصنع منه الفطائر فى أحيان أخرى. تم الكشف عـن زهرة اللوتس فى العديد من المقابـر، ونحت الفنان المصرى مئات الأعمـدة التى كانت تيجانها (التاج هو الجزء الأعلى من العمود) على شـكل زهـرة اللوتس والـبردى، ونباتات أخرى كثـيرة. ربما يكون السبب الأساسى لتسمية منطقة جنوب مصر باسم مصر العليا، ومنطقة شمال مصر باسـم مصر الدُنيا (السفلى) لوصول نهر النيل إلى الجنوب أولا وزيارته المحببـة إلى هذه المنطقة والتى انطلق منها بلا توقف – كعادته دائما – إلى مصر الدنيا فى الشمال ليصب فى البحر المتوسط فى نهاية رحلته عبر ١٠ دول إفريقية تشترك فى مقدراتها ومصائرها مع بعضها البعض.

وحد نهر النيل تلك الأمم وجعلها بنيانا واحدا وكيانا حضاريا يشترك كل أعضائه فى التنظيم والترويض والاسـتفادة من هذا المجرى المائى.

أصل كلمة إفريقيا:

من المعلومـات المهمة والتى يجب علينا جميعـا قراءتها هى أصل كلمـة قـارة إفريقيا، أهم قـارات العالم، والتى تحتـل ٥/١ (خُمس) مساحة اليابسة، وتصل نسـبة عدد سكانها إذا ما قورنت بنسبة عدد سكان العالم حوالى ١٠٪.

ففى عام ٢٠٠٦م تم إحصاء عدد سكانها الذى وصل إلى ٩٠٥,٩٠٠ مليون نسمة. أما عن أصل التسمية فيقول العلماء: إنها تأتى من أصل يونانى واستخدمه الرومان أيضا، وهو كلمة "أفريك" ومعناها: "الخالى من البرودة"، ومعناها "الشمس". وبعض العلماء يقترحون أن كلمة إفريقيا فى الأصل من اسم "أفريجا" أى أرض "الأفاريج"، وهم البربر الذين سكنوا المناطق الجنوبية لقرطاجة.

حضارات بشرية إفريقية:

الحضارة عبارة عن مجموعة من البشر مجتمعين فى مكان واحد (كبير فسيح أو صغير محدد) يكوّنون فكرا وثقافة مؤثرة يتوجهون عن طريقها إلى التطور فى الأوجه الحياتية فيبتكرون الاختراعات المفيدة، وتكون لهم طقوس وعادات وتقاليد.

ولقد اجتهد الكثير من العلماء للوصول إلى أصل البشر وسلالاتهم. ففى سبعينيات القرن العشرين اكتشف العالم "دونالد يوهانسون" نصف جمجمة لأنثى فى منطقة "هادار" بإثيوبيا (وهى إحدى بلاد نهر النيل) ترجع إلى حوالى ٣,٢ مليون سنة وطول الجسم يصل إلى أربعة أقدام (١,٢ متر)، ثم تلاه اكتشاف آخر يرجع عصر عظام الإنسان المكتشف إلى حوالى ٤ مليون سنة. أما عن الإنسان المفكر فقد ظهر منذ حوالى ١٦٠

ألف سنة ويسمى "هوموسابينيس"[1]. إذن، إفريقيا هى أصل السلالة البشرية وعلى ضفاف نيلها قامت أصل الحضارات وأهمها وأعرقها وهى الحضارة المصرية[2]. ذلك، بالطبع بجانب الكثير من الحضارات الأخرى المؤثرة والتى كان بعضها متصلا بطريقة أو بأخرى بالحضارة المصرية أو غير متصل بها. قاموس الحضارات الإفريقية النيلية ملئ بالأسماء التى نُحتت فى ذاكرة الزمن والتاريخ مثل الحضارة النوبية بكل أسرها وآثارها فى مناطق ناباتا وكوش ومروى وبرقل ونورى وكيرما والمنطقة الواقعة بين الشلال الأول للنيل بأسوان حتى منطقة دنقلة بعد الشلال الرابع وسِمنة جنوب الشلال الثانى وهى حضارات ذات كتابة وطقوس وأهرامات ومعابد وإنجازات عظيمة.

الشلالات :

يُطلق عليها بالإنجليزية لفظ "كاتاركت Cataract"، وهى عبارة عن مجموعة كبيرة من الأحجار الصلدة الطبيعية والتى تكونت من جراء تغيرات جيولوجية أرضية لتصبح بمثابة شبه عائق حجرى تتسرب من خلال أحجاره القوية مياه نهر النيل، وتتخلله تيارات مائية تجرى جريان الماء فتصطدم بالصخور العاتقة فينتج عن هذا رغوة بيضاء تظهر على سطح المياه. كان على الفلاح المصرى والنوبى الانتظار

(١) تاريخ إفريقيا تأليف. فيكتوريا شيرو استشارى، جيمس دينبو، نهضة مصر، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ناشيونال جيوجرافيك صفحة ٢٢

(٢) حوالى ٢٧ حضارة وثقافة مجتمعية على ضفاف نهر النيل.

حتى يأتى الفيضان فتغمر مياهه العالية الشلال الصخرى، فترتفع مستويات المياه فوق الصخور فيمتطيها على متن قاربه أو سفينته حتى يعبر هذا العائق مكملا ومستمرا فى رحلته سواء كانت رحلة تجارية من وإلى النوبة ومصر، أو رحلات أطول وأعمق إلى قلب الأمم الإفريقية لاستكشاف هذه المناطق. فعل المصرى القديم هذا مستخدما نهر النيل والبحر الأحمر حتى وصل إلى بلاد "بونى" أو "بونت" والتى يقول بعض العلماء إنها أريتريا أو جيبوتى الآن.

إذن، ساعد نهر النيل المصريين الأوائل فى نجاح المعاملات التجارية بينهم وبين دول النهر فانتعشت الأمم وازدهر الاقتصاد. وساعدهم أيضا للتعرف إلى الآخر ودراسة عاداته ولغاته وتقاليده وأساليب حياته. فى أحيان أخرى، وفى حالة عدم إرادة المصرى القديم الانتظار حتى تغطى مياه الفيضان الشلال فقد كان ينقل قاربه والبضائع التى على متنه عبر اليابسة حتى يعبر منطقة الشلال ثم يعاود رحلته النيلية بالإبحار للوصول إلى غايته.

سبب الحضارة :

يعتقد بعض المؤرخين أن الحضارة المصرية القديمة لم تكن لتتفرد وتتفوق هذا التفوق لو لم يكن هناك عنصران فى غاية الأهمية الأول الإنسان المصرى، و لثانى هو نهر النيل الذى شق الجسد الصحراوى لمصر ليجلب معه الخضرة والحياة. ولقد بدأت بالإنسان المصرى لأن من الواضح أن حضارته كانت مميزة وهى من صنع يده، وقد وظف كل

معطيـات الخالق لصالح تقدمه وازدهاره فانبثقت أشـعة الحضارة من مصر، فى حين أن هناك أماكن أخرى جرى فيها النيل ولكنها لم تنتج مثـل تلك الحضارة المصرية القديمة. أقول هذا وأنا أؤكد أن البلاد التى يجرى فيهـا النيل كانت ومازالت ذات حضـارة مؤثرة وأصيلة وذات إنجازات تاريخية واضحة. إنسـان الكهـف المصرى والذى لم يكن قد تعرف إلى نهر النيل بعد، كان ذا إمكانيات ذهنية وجسمانية وثقافية عالية وراقية. نظرة واحدة إلى رسومات الكهوف تجد أنك أمام حضارة وفكـر وأداء راقى للإنسـان المصرى – آلاف السـنين قبل عصر توحيد القطرين والأسرات.

أمثلة للإنسان المصرى فى عصور ما قبل التاريخ :

فـى منطقة الجلف الكبير الواقعة جنوب غرب مصر كهوف تظهر حيوانات مثل الزراف والغزال والظبى والماشية ومناظر الصيد بالسهم والقوس ورجال يسبحون مما يؤكد وجود حضارات فى مصر بعيدة عن مجـرى النيل. هؤلاء وأحفادهم هم مـن كونوا حضارات أخرى بعدهم مثل حضـارات يحلو للبعـض أن يصفها بفترات التجربـة والابتكار والتفكـير والمحاولـة والخطأ ثم المحاولـة مرة ثانيـة مثلا حضارة مرمدة بنى سـلامة التى تقـع على الجانب الجنوبـى الغربى للدلتا، وحضارة العمرى (بحلوان) بوادى حوف والتى تم اكتشـاف آثارها فى جنوب الدلتا شـرق النيل، حضارة الفيوم ونقادة غرب النيل بمحافظة قنا ومنطقة الكاب بمحافظة أسـوان (تقع شمال المدينة الآن)، حضارة

دير تاسا بالقرب من البدارى بمحافظة أسيوط والتى ترجع إلى العصر الحجرى الحديث (حوالى ٥٠٠٠ قبل الميلاد). ثم هناك حضارتا هليوبوليس (٢٠ كم شرقى المجرى الحالى للنيل) والمعادى (جنوب القاهرة)، وحضارة جرزه (تقع شرق مدخل الفيوم من ناحية وادى النيل)، وحضارة البدارى بأسيوط، وغيرها من الحضارات[1]. تميزت هذه الثقافات بأنها عرفت الزراعة والصيد وأدواته والطقس وطرق الدفن (وليس التحنيط) والاستفادة من التربة الجافة لحفظ الأجساد. أعتقد أن الزراعة هى الابتكار الأهم فى فترة ما قبل التاريخ والذى جعل المصرى يستقر فى مكان واحد واضعا أسس الحضارة. وذلك لأن الزراعة ترغم الإنسان على الانتظار لكى تنمو زراعاته ثم الاستفادة من ثمارها وأشجارها. أيضا كان لزاما على الفلاح المصرى الأول أن يدرس تحركات النجوم والشمس والقمر حتى يستطيع التعامل مع الفيضان والتنبؤ بأوقاته وانحساره ومن ثم يحسب الأيام ويخترع التقويم السنوى ويقسمها إلى مواسم ويقيم السدود ويحفر الترع وينثر البذور، وغيرها من أعمال الفلاحة. وأهم أثر يثبت حب المصرى للزراعة واستفادته فى عصور ما قبل الأسرات المعروفة هو أثر للملك العقرب والذى يظهره وهو يزاول الفلاحة بفأس (أشبه بالمحراث اليدوى الخشبى). هذا المنظر المنحوت على رأس مقمعة مستديرة هو من أقدم المناظر التى تثبت لنا أن ملك مصر كان يحفر القنوات ويقلع ويزرع ويكون مشتركا

(١) جذور الحضارة المصرية دكتور/ إبراهيم يوسف شتلة، كبير مفتشى الآثار بهيئة الآثار – سابقا

فى عملية تخصيب الأرض. ومن هنا تأتى العلاقة التى استمرت آلاف السنين بين الحاكم ونهر النيل.

نهر النيل فى عصر الأسرات :

منذ حوالى ٣٢٠٠ سنة قبل الميلاد وضع المصرى نظاما ممتازا للتعامل مع نهر النيل فى أوقات هدوئه وخلال الأشهر الثلاثة التى يفيض فيها ويجلب الطمى المخصب.

مقياس النيل :

من الناحية العلمية ابتكر فكرة "المقياس Nilometer" عبارة عن سلم أو درج أو طريق منحدر أو دهليز أو بئر محفور متصل بنهر النيل مباشرة أو عن طريق مصرف مائى متصل بالمقياس تم اكتشاف عدد من مقاييس النيل فى معابد إسنا وإدفو وكوم أمبو ودندرة بقنا، ولكن أشهرهم المقياس الموجود الآن بجزيرة فيلة فى جانبها الجنوبى الشرقى. ومقياس جزيرة فيلة عبارة عن درج منحدر من أعلى الجزيرة إلى أسفل طبقة فيها حيث يوجد باب مفتوح تشرف عتبته على نهر النيل مباشرة. وعلى جانبى السلم والجدارين، الأيسر والأيمن، توجد علامات منحوتة لكى يتم على أساسها حساب ارتفاع أو انخفاض منسوب مياه النهر فى الأيام العادية أو فى فترات الفيضان. ولقد اهتم الخديوى إسماعيل بهذا المقياس فأمر بترميمه فى عام ١٨٧٠ ميلاديا بعد أن أعيد بناؤه فى فترة الغزو الرومانى. اتبع المسلمون فيما بعد

نفس الفكرة وتم إنشاء مقياس النيل بجزيرة الروضة فى حوالى عام ٧٠٥ ميلاديا معتمدا على فكرة تشييد عمود طويل به علامات لحساب الارتفاعات والانخفاضات . استمرار العهود المتتالية والمتباينة فى استخدام فكرة مقياس النيل وتطويرها لخدمة الفلاح المصرى تثبت عبقرية هذا الابتكار المصرى، والذى عن طريقه استطاع أن يحسب كميات المياه الزائدة عن حاجته، ومدى شدة الفيضان ووضع جدولا إحصائيا عبر السنين لدراسة هذه الظاهرة.

الفيضان ظاهرة نيلية ذات وجهين، الوجه الأول هو وصول المياه بانحدار وجريان شديد محملة بالغرينة والطينة والطمى الذى كان ينتظرهم الفلاح لأنهم يزيدون أراضيه خصوبة ونماء وخضارا (كان وصول الفيضان إلى الدلتا يسمى بالنيل الأحمر وذلك لشدة احمرار لون المياه الأقرب إلى البنى المائل للاحمرار من كثرة الغرينة فى المياه). أما الوجه الأخر فهو الدمار الذى من الممكن أن يسببه الفيضان عند اشتداده، أو المجاعة والقحط والجفاف الذى من الممكن أن يسببها عند عدم وصول الفيضان. وقد وثق المصرى القديم حالة جفاف عانى منها المصريون فى لوحة تسمى لوحة المجاعة موجودة على تل بجزيرة سهيل بأسوان.

تعلم المصرى كيفية التعامل مع كل هذه الظواهر وعبر التاريخ وأحداثه تم ترويض نهر النيل عند هيجانه وثورته، وحبه واحتضانه وتقديره فى حالته العادية.

أصل تسمية "نيل" :

من أين جاءت كلمة "نيل"؟ وما هو أصلها ؟ وماذا أطلق عليه فى الأزمنة الماضية؟ أسئلة كثيرة تدور فى خلد من يقف أمام نهر النيل مشدوها من روعته وجماله. الإجابة عنها فى الاقتراحات الآتية:

• أطلق اليونانيون عليه اسم "نيلوس Nilos"، بعد أن أخذوا الكلمة من الأصل الفارسى والمصرى من قبله.

• الاسم المقدس لحركة جريان المياه وديناميكية سريانه كان "حعبى" وهو الذى أصبح رب أسطورى يرسم وينحت على البرديات والجدران على شكل رجل ذى بطن منتفخة وصدر واحد متهدل ويخرج من رأسه فى بعض الأحيان زهور اللوتس والبردى. كان "حعبى" دليلا ورمزا للنماء والخصوبة والنهر نفسه وتشخيص الفيضان. يعتقد بعض العلماء أن "حعبى النهر" كان بمثابة الأب والأم بل والملك الحاكم نفسه ويستدلون على ذلك بمناظر وتماثيل للملك "إخناتون" وهو على شاكلة "حعبى" ثم أطلق عليه للتسهيل فيما بعد اسم "حابى".

• قال العالم "بروجش" إن كلمة "وعر" بالهيروغليفية كانت تعنى المياه الغزيرة فى وقت الفيضان.

• كلمة "يم" بالهيروغليفية ترمز وتتصل بمعنى الجسد المائى مثل النهر أو البحيرة أو البحر. فنجد مثلا "با – يم" أى البحيرة الكبيرة والتى تحولت فيما بعد إلى "فيوم" ثم أضيف إليها أداة التعريف فى الكتابة العربية فأصبحت الفيوم مع تخفيف الفاء،

والمعنـــى هنا واضح فقد كان المصرى القديم يصف بحيرة قارون بالفيوم. ونجد أن كلمة "يم" أو "ايوما" قد عاشت فى موروث اللغة العربية ويتم استخدامها بنفس المعنى حتى الآن.

• فى الخط الديموطيقى (كتابات العامة والشـعب فى مصر القديمة وهو خط مختزل للهيروغليفى ليكون أسـرع وأسهل من حيث الكتابة) يقـال للنيل "إل"، ويعتقد العالم "أنطون ذكـرى" أن حرف الـ "نون" هـى أداة التعريف للجمع المذكر، فلو أضفناها على "إل" تصبح "نئيل" أو "نيـل". فى فترات أخـرى تم إضافة حرف "الـواو" علامة للجمع ليصبح "نيلو" ثم أضيف حرف الـ "ص" من الهجائية اليونانية ليصبح "نيلوص" أو "نيلوس". ذكر الشـاعر الإغريقى "هسيوط" اسم "نيلوس" لأول مـرة فـى قصيدته "أنسـاب الأرباب". هكذا اشـتركت أكثر من حضـارة ولغة وثقافة فى تسـمية هذا النهر الـذى لم يجمع فقط بلاد إفريقيا التى يمر بها ولكن جمع حضارات من كل اتجاه.

• ومـن ضمن الأسمـاء الهيروغليفيـة التى ارتبطت بنهر النيل هو اسم "سيحور" أو "شى – حر"، ولكنه فى بدايته لم يكن يطلق على نهر النيل كله بل على منطقة محدودة بالوجه البحرى (شمال مصر الآن). كلمة "شـى" معناها "بحيرة" و"حر" هو الاسم الهيروغليفى لحورس الرب الأسطورى الذى كان يُرمز له بطائر الصقر، ولو ضممنا الكلمتين تصبـح كلمة واحدة ومعناها "بحيرة الصقـر". ثم أطلق على النهر كله هذا الاسـم وهو ما نفعله نحن حتـى الآن، فمثلا نطلق على "القاهرة"

اسم "مصر"، و"أمريكا" على الولايات المتحدة الأمريكية. نحن نطلق اسم الجزء على الكل بمعنى أن القاهرة كمدينة ليست هى مصر كلها، وأمريكا كقارة تحتوى على أكثر من بلد بجانب الولايات المتحدة الأمريكية.. وهكذا. أما فى اللغة العربية الفصحى فإن كلمة "نيل" هى مصدر كلمة "نَالَ" مثل "نال خيرا" و"النيلُ" هو "فَيْضُ مِصْر"[1].

فروع الدلتا :

تكونت الدلتا – كما سبق وتقدم – من ملايين السنين ولكنها لم تكن فقط مكونة من فرعين رئيسيين كما هو الحال الآن وهما فرع رشيد وفرع دمياط. الحقائق التاريخية والوثائق القديمة مع أبحاث العلماء الجيولوجيين (علماء يدرسون طبقات الأرض ومكوناتها) أثبتت أنه كان للدلتا فى الأصل سبعة فروع[2] تصب كلها فى البحر المتوسط وهم:

(١) الفرع الكانوبى: وهو الفرع الغربى للدلتا وهو فرع رشيد الآن. كان يُعتقد أن مياه "آمون" رب الشمس تجرى فيه.

(٢) الفرع البلبيتينى: وهو فرع يخرج من الفرع الكانوبى بمديرية البحيرة.

(٣) الفرع السبنيتى: كان يُعتقد أن مياه الرب "بتاح" الأسطورى

---

(١) مختار الصحاح. الرازى. مكتبة لبنان. ناشرون.

(٢) "سترابون" الجغرافى الشهير (القرن الأول قبل الميلاد) قال إنهم سبعة فروع.
و"ابن عبد الحكم" المؤرخ العربى (القرن الثالث للهجرة) قال إنهم سبعة أما "حيرودوت" (القرن الرابع قبل الميلاد) قال إنهم خمسة.

تجرى فيه. وطبقا لهيرودوت الكاتب الإغريقى كان هذا الفرع يشرف عليه وتقترب منه مدن مشهورة الآن مثل سمنود وبلطيم وزفتى وقويسنا، هذا بالطبع لو كانت هذه المدن موجودة بشكل أو بآخر فى أيام وجود هذا الفرع.

(٤) الفرع المنديسى: وهو الذى كان قريبا من مدينة المنصورة الحالية. كان يصب فى بحيرة المنزلة.

(٥) الفرع التانيتيكى أو التانيسى: من "تانيس" وهو مكان تاريخى مهم فى نهاية الطريق المرصوف بمحافظة الشرقية وبه العديد من الآثار والتماثيل والمسلات. يطلق عليه بحيرة "مويس".

(٦) الفرع الفاتنيتى: وهو المعروف الآن بفرع دمياط.

(٧) الفرع البيلوزى: تصب مياهه بالقرب من منطقة "بيلزيوم" أو "تل الفرما" أو "قرية طينة". تمت دراسة مكانه الظاهر إلى الآن. كان يُعتقد أن مياه الرب لأسطورى تجرى فيه.

النيل فى معبد فيلة :

يقع معبد فيلة المكرس لعبادة الربة الأسطورية "إيست" (إيزيس) على بعد حوالى ٨ كم جنوب أسوان الآن. أقدم أثر فيه يرجع إلى الأسرة الثلاثين[1] حتى عصر غزو الرومان[2]. وقد تم إنقاذه من خطر المياه

(١) حكم ملوك هذه الأسرة من عام ٣٨٠ حتى عام ٣٤٣ قبل الميلاد.

(٢) حكم الرومان من مصر منذ عام ٣٠ قبل الميلاد حتى عام ٣٩٥ ميلاديا عندما قسمت الإمبراطورية الرومانية حينئذ.

التى كانت تصعد بعد بناء مشروع السد العالى العظيم. كانت علاقة ملوك مشاهير بفيلة وعبادة "إيزيس" موثقة مثل الملك "طهارقا" النوبى (منذ عام ٦٩٠ إلى عام ٦٦٤ قبل الميلاد) و"نيختانبو الأول" (حكم من ٣٨٠ حتى ٣٦٢ قبل الميلاد). اشترك فى بناء هذا المعبد المصريون والنوبيون والمرويون[1] والبطالمة (الإغريق) والرومان، ثم تم الكشف عن آثار مسيحية لأن المعبد تحول فيما بعد إلى كنيسة للعبادة. ثم تم ترك المعبد نهائيا فى عام ٥٣٥ ميلاديا تقريبا. أهم منظر منحوت على جدران هذا المعبد هو منظر الرب "حعبى" (حابى) على جدار حجرى للإمبراطور "هادريان" الرومانى (حكم من عام ١١٧ حتى عام ١٣٨ ميلاديا) وهو داخل غرفته الأسطورية المشكلة على هيئة ثعبان يمسك "حعبى" بقارورتين يسكب منهما ماء على شكل زيجزاج (متعرج أو خط مشرشر) يعتلى الغرفة عدد من الأحجار المشكلة للشلال الأول فى أسوان ويعتلى تلك الصخور طائر العقاب (نوع من أنواع النسور) وهى "إيست" (إيزيس) وطائر الصقر (وهو حورس ابن إيزيس وأوزوريس طبقا للأسطورة المصرية القديمة).

النيل يوحد مصر :

كانت مصر فى الماضى البعيد يُنظر إليها على أنها قطران (مثنى قطر)، القطر الشمالى والقطر الجنوبى. وكانت المحاولات الناجحة

(١) حضارة مروى بشمال السودان الآن. وقد شيدوا أهرامات ومقابر عظيمة.

التى أنجزها الشعب وحكامه هى التى ساعدت على توحيد القطرين تحت راية واحدة. كان يُنظر إلى النيل كسبب رئيسى لهذه الوحدة. فمجرد جريان المياه فى مجرى هذا الشريان المهم توحدت البلاد وتضمنت كل المدن والقرى والأقاليم التى يمر بها. لذلك ابتكر الفنان المصرى العبقرى فكرة الـ "سما - تاوي"، وهى عبارة هيروغليفية قديمة، معنى كلمة "سما" هو توحيد (جعله واحدا) و"تا" بمعنى "أرض" و"وى" ضمير المثنى، العبارة كلها تعنى "توحيد الأرضين"[1]. نحت المصرى القديم منظر التوحيد وكرره أكثر من مرة وخصوصا على جانبى الكراسى وعروض الملوك، تارة بحعبى وتارة من غيره. المنظر يبين "حعبى" مرتين، يواجه بعضهما بعضا، يمسك "حعبى" الموجود على جانب المنظر بزهرة اللوتس، ويمسك "حعبى" الموجود على الجانب المقابل بزهرة البردى (وهما رمزا الأمة، مصر العليا والدنيا) ويربطهما بعقدة رامزا للتوحيد بين القطرين.

التقويم وفيضان النيل :

اعتمدت فكرة التقويم وتقسيم السنة إلى مواسم وشهور زراعية على توقيت وصول فيضان النيل والتى درسها وحسبها وعرفها المصرى القديم عن طريق دراسته لعلم الفلك الذى ابتكره. فقد كان ظهور

(١) كان يُطلق على الملك فى مصر القديمة لقب "نب - تاوى" أى "رب الأرضين". والأرضان هما مصر العليا والدنيا (السفلى).

نجمة الشعرى اليمانية بعد اختفائها فى سماء مصر إيذانا ببدء موسم الفيضان. قسم المصرى القديم العام إلى ٣٦٥ يوما[1]، واثنى عشر شهرا، وكل شهر كان مكونا من ثلاثين يوما، كل أسبوع ١٠ أيام، تم تقسيم العام إلى ثلاثة مواسم هى:

(١) فصل أو موسم الفيضان وكان يسمى بالهيروغليفية "آخت". يستمر هذا الفصل حسب الحسابات القديمة لمدة أربعة أشهر هى توت وبابة وهاتور وكهيك، وهى أسماء قبطية لها أصول هيروغليفية – توت أصلها "دجحوت" أو "تحوت" وهو رب الكلام والأسماء والعلم والبحث والحكمة والكتابة والفصول والحساب، و"هاتور" أصلها "حات–حر" أو "حتحور" وهى ربة الجمال والموسيقى والنساء والخصوبة والحب والفيروز وسيناء والأمومة وقد كانت زوجة الرب الصقر "حر" أو "حورس" طبقا للأسطورة. رمز لهذا الفصل بالعلامة اليهروغليفية التى تنطق "نفر" ومعناها "الجمال والحُسن".

(٢) فصل "برت" وهو فصل البرد والشتاء ولكنه فى التقويم الزراعى فصل بذر البذور لأن مياه الفيضان تكون قد انحسرت وتركت طبقات الطمى الغنية والمخصبة، وبالتالى تكون الأرض والتربة جاهزة لتلقى البذور. ويبدأ هذا الفصل بشهوره الأربعة بشهر طوبة ثم أمشير ثم برمهات الذى تنضج فيه بعض المحاصيل وتكون جاهزة للحصاد

(١) أصبحت $\frac{1}{4}$ ٣٥٦ فى عهد الملك بطليموس الثالث الذى حكم من الإسكندرية من عام ٢٤٦ إلى عام ٢٢١ قبل الميلاد.

ومن هنا جاء المثل الشهير "برمهات، روح الغيط وهات" ثم ينتهى الفصل بشهر "برموده" حيث يتم درس الغلال ومن هنا جاء المثل الشهير "برمودة دق بالعمودة". ويرمز إلى هذا الفصل بالهيروغليفية بعلامة "حتب". وهى كلمة معناها العطاء والوهب.

(٣) موسم شمو، وهو فصل الحصاد والربيع والصيف والذى يستمر لمدة أربعة أشهر هم بشنس والذى اشتهر بالمثل "بشنس يكنس الغيط كنسا" شارحا بعبقرية الفلاح المصرى القديم والمعاصر حيث يتم فيه الحصاد ونقل المحاصيل من الغيط (الحقل)، ثم شهر بؤونة وأبيب والذى تبدأ فيه المياه فى العودة إلى الارتفاع مرة أخرى، ولهذا قال المثل المصرى "أبيب يسمع للميه دبيب" لأنها ترتطم بالجدران والأسوار فتصدر صوتا "الدبيب" ثم آخر شهر هو مسرى والذى يعتقد البعض أن اسمه جاء فى الأصل من "مس رع" بالهيروغليفية" والتى تعنى "ولادة رع" أو مولد الرب الشمسى رع "حيث ترتفع الحرارة. كانت كلمة "عنخ" هى التى ترمز إلى هذا الفصل ومعناها "الحياة". كان يطلق على كلمة "يوم" كلمة هيرو"، و"السنة" كانت "رنبت"، ولحظة وقت أو فترة زمنية كانت "إيت".

المساحون والفيضان :

عملية الاستفادة من مياه النيل بدأت منذ بدأ استقرار الإنسان المصرى على ضفاف النهر. فنجده قد شق الترع والمصارف المائية وحول مجراه وجفف أجزاء واستفاد بأجزاء أخرى وصنع البرك والبحيرات

الاصطناعية وتعامل مع المستنقعات والبحيرات الطبيعية. نظم المصرى عملية الزراعة والحصاد والفلاحة تنظيما دقيقا معتمدا على حساباته المتصلة بنهر النيل. وضعت الحكومة المصرية القديمة القوانين والتشريعات لتنظيم بيع وشراء الأراضى بعقود موثقة ومكتوبة، وحافظت على المحصول والغلال بوضع الفلاح لبذوره وإنتاج أرضه فى شون ومخازن مشيدة بطريقة تكون صالحة وصحيحة وبها فتحات للتهوية. وعلى رغم أن الفيضان كان يمسح ويزيل الحدود التى كانت تشيد على شكل ترع صغيرة أو تل صغير جدا أو سور من الطين، نتيجة لمياهه الهادرة بقوة، فقد كان هناك نظام ابتكره المصرى القديم يعيد كل هذه الحدود إلى أماكنها الصحيحة وبالتالى يحمى أى فلاح من أى محاولة للتعدى على أرضه من قِبل جاره الذى ربما يريد أن يستفيد من زوال الحدود بين أرضه وأرض جاره. أيضا هذا النظام يحسب مساحة الأراضى المزروعة والخصبة وإلى من تؤول ملكيتها وكمية الغلال والمحاصيل التى تنتجها ونوعيتها ويتم وضع كل هذا فى أرشيف سنوى يستفاد منه كمرجع للسنة التالية. هذا النظام هو نظام المساحين. مهمة ووظيفة "المساح" هى حساب طول وعرض ومساحة الأرض عن طريق شريط طويل أو حبل ذى عُقد مثل فكرة المازورة الآن. هذه الوظيفة كانت وظيفة حكومية يتسم فيها صاحبها بالدقة والأمانة ومعرفة علم الحساب والإحصاء والأرقام، ويكون أيضا خبير تربة ومهندسا زراعيا. كانت كل هذه الحسابات تقرر نسبة الضرائب التى

كان على الفلاح دفعها للحكومة على هيئة بذور ومنتجات زراعية (لأنه لم يكن هناك أموال ونقود معدنية فى الفترات الأولى ولم تظهر فكرة العملة إلا فى الفترات المتأخرة من العصور الفرعونية وعصر الأسرات. فكانت المقايضة والمبادلة هى الطريقة فى المعاملات التجارية والاقتصادية فى العصور القديمة.

خيرات النيل :

بجانب الماء والطمى والتى استفاد منهما المصرى ومازال فى عملية الرى وتخصيب الأراضى فقد كان هناك مصدر آخر للمعيشة والطعام يأتى من نهر النيل ألا وهو السمك. ابتكر المصرى القديم الشبك والصنانير والبوص والحراب والأقفاص المصنوعة من البوص والحبال كوسائل لصيد الأسماك. كما كان أيضا حريصا على توثيق ونحت ورسم كل أنواع السمك فى نهر النيل. ومن هذه المناظر الجدارية وخصوصا فى مقابر المصاطب بسقارة والنبلاء بالأقصر وحكام وعمد الأقاليم مثل الموجودة بمنطقة بنى حسن بالمنيا وغيرها من المقابر العديدة. تم دراسة سمك مثل سمكة "خطم الفيل" (خطم يعنى خرطوم أو زلومة فى العامية)، وسمكة "ساردينا" أو "رايا"، "أمارة"، "بيني"، و"قرموط"[1]، و"شيلباية" أو "شيلبا"، وسمكة "قشر البياض"[2]،

(١) والتى ظهرت فى اسم "نعر - مر" أو "نارمر" المنحوت داخل مستطيل يطلق عليه بالهيروغليفية "سيرخ" وهو منظر واجهة القصر الملكى، أعلى لوحة نارمر الموجودة فى المتحف المصرى

(٢) اسمها بالهيروغليفى هو اصل اسم "إسنا" المدينة المشهورة بالصعيد

و"جارجـور"، و"رعاش"، و"ثعبان السـمك"، و"طوبـار" و"البلطى" و"الفاهكة" أو :الفاهقة" و"الترسة" وغيرها من الكائنات النيلية.

وقـد تعلم المصرى الصيد وتنظيف الأسمـاك وتجفيفها وتمليحها. وقد نتج عن تنوع الطرق التى قدم بها المصرى القديم السـمك إلى ابتكار السمك الملوحة الرنجة والبكالاه، والسمك المشوى. وكان السمك يعتبر خـيرا، حيث قال الحكيم المصرى القديم: "اعمل الخير وألقه فى مياه الفيضان وعندما تنحسـر مياهه يبقى لك سمك". ويقصد هنا أن الكثير مـن الأسماك لا تسـتطيع انرجوع إلى مجرى النهر عند انحسـار مياه الفيضان فتبقى فى أرض المزارع ليسـتفيد بها هو وعائلته. النيل دائما يجلب الخير.

أقوال وحكـم وأناشيـد :

لم يتعامل أحد أو قرأ أو شاهد أو حتى عرف عن نهر النيل إلا وتأثر به منذ العصور القديمة وحتى الآن. فكتب عنه المؤرخون والجغرافيون والشعراء والحكماء وأفراد الشعوب.

انتقيت لكم عددا من الأقوال والحكم والعبارات والأناشيد والصور البلاغية التى قرأتها فأعجبت بها، وها أنذا أشارككم هذا الإعجاب:

١ – كلمات أغنية مصرية قديمة تقول: "أنت موجد القمح ومخرج الشـعير من الأرض، وسـبب الابتهاج والسـرور فى الهياكل .. متى أقبلـت يا نيل تغيرت جميع هذه الأحوال أمام الإنسـان، فإنه بمجرد ما تبدو أنت للعيان بعد أن يخلقك خنوم رب الشـلال ترى الأرض وقد

أخذت زخرفها وازينت وجميع البطون وقد فرحت واستبشرت .. فدم يا نيل فى عز ويمن وإقبال..".

٢ – قال هيرودوت المؤرخ اليونانى عن مصر: "ليس مناخها وحده مختلفا عن مناخ بقية الأقطار وأنهارها ممتازة عن سائر الأنهار بل إن أهلها يختلفون فى أخلاقهم وعاداتهم عن أهالى جميع المدن والأقطار".

٣– من تعاليم "خيتى بن دواوف" لابنه "بيبى" (حوالى عام ١٣٠٠ قبل الميلاد): "لقد زرعت القمح، وأحببت "نبر" رب الحبوب، النبيل حيانى فى كل واد، فلا جائع تحت حكمى، ولا ظمآن فى عهدي".

٤ – أغنية لصيادى الأسماك: "إنها (يقصدون الشبكة) تحضر لنا صيدا جميلا". أغنية مصرية قديمة.

٥ – نص من الدولة الحديثة يقول: "... فيحيى الرب الطيب النيل الذى يحيى النفوس بجوهره والثروة بثمراته. أنت أيها الوحيد الذى تظهر من نفسك ولا يعرف أحد ما تحويه، والكل يفرح بظهورك من مخبئك، فيك تربى الأسماك العديدة ومنك تفيض الخيرات على مصر، فأنت خُلقت لأجلنا، ويسر بك الناس..".

٦ – ذكر "بلينى" المؤلف قصة طريفة كانت تحدث فى مصر القديمة: "إن المصريين فى عصره كانوا يقدمون الغذاء للتماسيح يلبسونها بعض الثياب فى وقت الفيضانات ويلقونها فى النيل فتبدوا ألوان الثياب الناصعة فى منظر بهيج يروق الناظرين".

٧ – أغنية من عصر الدولة الحديثة تقول كلماتها: "أقبل تحوت بالماء إلى الحقول لتشرب الماشية وترتوى الأشجار وحتى تتغذى الأرض كلها".

٨ – ومن أغنية للرب "حعبى" محفوظة بمتحف "تورين" بإيطاليا بعض العبارات الجميلة: ".. وهو الذى يغذى البلاد الصحراوية البعيدة عن الماء .. عندما يفيض النيل تصبح البلاد فى فرح، وكل إنسان فى سرور .. هو الذى يجعل الأشجار تنمو كما يشتهى الجميع، أنت تفيض فتسقى الحقول وتمد الناس بالقوة".

٩ – "أنت مزدهر أيها النيل .. فالنيل هو الذى يجعل الناس تحيا من خير ماشيته، وتعيش ماشيته على المراعى".

١٠– قال النواجى: "النيل مخالف لكل نهر على وجه الأرض".

١١– يقول السيوطى[1] فى كتابه "كوكب الروضة": "نهر النيل من سادات الأنهار، وأشراف البحار، .. وليس فى أنهار الدنيا نهر يسمى بحرا غير نيل مصر لكبره واستبحاره".

١٢ – قال أبو بكر النبطى[2] فى كتابه "الفلاحة النبطية": "وأما ماء النيل، فمخرجه من جبال وراء بلاد السودان يقال لها جبال القمر".

---

(١) مؤرخ ورحالة زار مصر فى عام ١٤٦٦ ميلاديا ولد فى سنة تسع وأربعين وثمانمائة للهجرة

(٢) معروف أيضا بابن وحشية وكان له محاولات فى فك رموز الكتابة الهيروغليفية القديمة قبل شامبليون الفرنسى بمئات السنين

١٣ – يذكر المقريزى (وُلد عام ١٣٦٤ وتوفى فى عام ١٤٤٢ ميلاديا) فى كتابه "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" سعادة الشعب المصرى واحتفالاته عندما يصل منسوب مياه النيل إلى ارتفاع ١٦ ذراعا، الذراع المصرى القديم كان حوالى ٥٢ سنتيمترا، وهو الارتفاع المناسب للرى والاستفادة من المياه بسهولة ويسر. ويُقال: "وفى النيل"، ومن هنا جاءت لفظة "وفاء النيل". يقول: "ويحصل لأهل مصر بوفاء النيل ستة عشر ذرعا فرحا عظيما، فإن ذلك كان قانون الرى فى القديم واستمر ذلك إلى يومنا هذا. ويتخذ ذلك اليوم عيدا ويركب فيه السلطان بعساكره....".

١٤ – يقول الإدريسى، وهو من علماء القرن السادس الهجرى، فى كتابه الكبير "نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق": "... ومصر بالجملة عامرة بالناس، نافقة بضروب المطاعم والمشارب وحسن الملابس وفى أهلها رفاهة وظرف شامل وحلاوة ولها فى جميع جوانبها بساتين وجنات وشجر ونخل وقصب سكر. وكل ذلك يسقى بماء النيل، ومزارعها ممتدة من أسوان إلى حد الإسكندرية، ويقيم الماء فى أرضهم بالريف منذ ابتداء الحر إلى الخريف ثم ينضب فيزرع عليه ثم لا يسقى بعد ذلك ما زرع عليه ولا يحتاج إلى سقى البتة، وأرض مصر لا تمطر ولا تثلج البتة ... وأكثر جرى النيل إلى جهة الشمال .. وليس فى أرض مصر مما يحوز ضفتى النيل شئ قفر وإنما هو كله معمور بالبساتين والأشجار والمدن والقرى والناس والأسواق والبيع والشراء.

(ثم يحذر من ارتفاع الفيضان ويشرح أضرار الفيضان إذا ما زاد)"... فإذا بلغ عشرين ذراعا فهو ضرر .. فما زاد على ثمانية عشر ضرر لأنه يقلع الشجر ويهدم...". ويؤكد: "... وما نقص عن اثنى عشر كان بذلك النقص الجدب وقلة الزراعة".

١٥ – قال "بوسانياس" المؤرخ اليونانى والجغرافى المولود فى القرن الثانى قبل الميلاد: "إن المصريين اعتبروا النيل فى بدء فيضانه مجموعة من دموع المعبودة "إيست" (إيزيس) التى تبكى زوجها "وسير" (أوزوريس)". ومن هنا جاء تقليد ليلة النقطة الموافقة ليوم ١١ من شهر بؤونة الذى كان يعتقد فيه سكان مصر حتى وقت ليس ببعيد كما كتب الأستاذ/ أنطون ذكرى فى كتابه النيل فى عهد الفراعنة والعرب"[١].

١٦ – قال الملك "إخناتون" الذى حكم مصر حوالى سبعة عشر عاما أغلبهم من عاصمته الجديدة التى شيدها قبل العمارنة بالمنيا: "أنت تخلق النيل فى العالم السفلى. وأنت تأتى به كما تشاء. ليحفظ أهل مصر أحياء، لأنك خلقتهم لنفسك. ... لقد وضعت نيلا فى السماء (كان المصرى القديم يعتقد أن هناك نهر نيل سمائى أطلق عليه لقب "ويرنيس"، ويعتقد بعض العلماء إنهم كانوا يقصدون "درب التبانة" أو "درب اللبانة" وهو عبارة عن مجموعة كبيرة جدا من النجوم والأجساد الفضائية المكونة لشكل مجرى أبيض أو فضى).... حينما

(١) من سلسلة "صفحات من تاريخ مصر الفرعونية". الناشر مكتبة مدبولى. القاهرة ١٩٩٥م.

ينـزل لهم يصنـع أمواجا فوق الجبـال مثل البحر الأخضـر العظيم، فـيروى حقولهم فى مدنهم. مـا أكرم مقاصدك يـارب الأبدية ... أما النيل فإنه يأتى من العالم السفلى لمصر.

١٧ - كان المصرى القديم يعتقد أنه فى يوم الحساب يجب عليه أن يعترف بأنه لم يفعل الموبقات والأفعال السـيئة الشـريرة لكى يتطهر أمـام الأرباب ومنها اثنـان وأربعون نفيا أمام نفـس العدد من القضاة الذين تكون مهمتهم الإشـراف والحكم على أخـلاق وأفعال المتوفى، الاعتراف السلبى يتضمن: "لم تعظم ثروتى إلا من ملكى الخاص، إنى لم أنطـق كذبا، إنى لم أخسـر مكيال الحبـوب، ولم أكن طماعا، لا لم أخذ اللبن من فم طفل، لا لم ألوث مياه النهر، لم أغير مسار المياه".

١٨ - مـن تعاليم الحكيم "أمنوبـى"[1] لابنه "حار-مع-خر": "لا تزحزح عن الحد الفاصل (بين الحقول)، ولا تحولن موقع خيط المقياس .. ,لا تتعـدى على حرث آخر .. ازرع الحقول حتى يمكنك أن تجد ما تحتاج إليه وتجنى خبزك من حرثك، وإن المكيال الذى يعطيكه الرب خير لك من خمسة آلاف تكسـبها بالبغى .. وأرغفة (تكسبها) بقلب فرح خير لك من ثروة مع شـقاء ... ولا تتآمرن مع كيال الغلال .. ولا تمنعن أناسا من عبور النهر عندما يكون فى قاربك مكان".

١٩ - قـال العلامـة جمال حمدان فى كتابه الشـهير "شـخصية

---

(١) هـو "إمنوبـى بن كانخت" ملاحظ الأراضى، وكاتب ومديـر المكاييل وموظف قيد الأراضى الجيدة والجزر، وواضع علامات حدود الأرض المزروعة، ومقرر أقاف

مصـر": "الحقيقة الأولى فى الوجود المصرى هـى أن مصر هى النيل، فبدونـه لا كيان لها ليس فقـط من حيث ماءه، وإنمـا أيضا من حيث تربته .. إن النيل لا جدال "أبو مصر" منه اسـتمدت جسمها ودمها، أو طميها وماءها".

٢٠ – قـال "ابن إياس المصري" فى كتابـه المهم "بدائع الزهور فى وقائع الدهور": ".. وكان إقليم مصر متصلا بالعمارة على شـاطئ النيل كأنها مدينة واحدة مشتبكة بالأشجار المثمرة بالفواكه اليانعة والقرى العامرة، حتى قيل إن المسـافر كان يسير من الإسكندرية إلى أسوان بلا زاد، بل يسير فى ظل وأشجار وفواكه إلى أن يصل إلى مدينة أسوان فى قرى عامرة بالناس لا يحوجونه إلى زاد يحمله معه".

٢١ – قـال "صاعد الغوثى" فى كتـاب "طبقات الأمم": "... إن من أجلّ منافعها[1] ماء النيل المبارك وسرعة هضمه للأكل".

٢٢ – قال القضاعى: ".. وهى أكثر البلاد كنوزا وعجائب وأنهارا".

٢٣ – يقول الشـاعر القديم: "إذا البلاد افتخرت لم تزل مصر لها عز وتفضيل .. ,كيف لا تفخر مصر وفى أرجائها السلطان والنيل".

٢٤ – قـال ابن فضل الله: "يحق لمصـر أن تتيه إذا جرى بها النيل وامتدت إليه العيون .. فما مثله من زائر لقدومه تقر عيون إذ تقر العيون".

٢٥ – قال ابن الصائغ الحنفى: "أرض بمصر فتلك أرض من كل فن لها فنون .. ونيلها العذب ذاك بحر ما نظرت مثله العيون".

---

(١) يقصد هنا مصر

٢٦ – قال العالم "سايس" على لسان نهر: "أعطنى أرضك وجهدك، أعطك أنا مياهى".

٢٧ – يقول الشاعر المصرى "بسام رضوان" المحب للنيل والوفى للزراعة والمقدر للفلاح: "مشيت على شط النيل عند انبلاج[١] النهار .. فلامست قدماك الأرض .. فرقصت حبات الطمى[٢] فرحا .. وولد الانبهار ... وقفزت أسماك القاع شادية[٣] ... واتشح[٤] البر بالاحمرار... ولاحت[٥] فى أفق المشرق بسمة .. صدرتها[٦] روحك فجابت[٧] الأقطار .. فانشرح لها صدر الظباء[٨] والغزلان فرحة...".

٢٨ – يصف العبقرى "جمال حمدان" مصر من الناحية الجغرافية ومدى قوة وتأثير الطبيعة التى وهبها الله سبحانه وتعالى لها، ومن الناحية التاريخية أيضا قائلا: "مجموعة الملامح ككل تجعل منها مخلوقا فريدا فتلك حقيقة .. فهى جغرافيا تقع فى إفريقيا، ولكنها تمت أيضا إلى آسيا بالتاريخ. وهى متوسطية دون مدارية بعروضها، ولكنها موسمية بمياهها وأصولها. وهى وإن كانت أصلا موسمية فى

---

(١) إشراق – شروق

(٢) الطين

(٣) مغنية

(٤) انكست غطت

(٥) ظهرت

(٦) من تصدير بعث الشئ

(٧) زارت وطافت

(٨) الظباء جمع ظبى وهو نوع من الغزال جميل الشكل

مصدرها فقد أصبحت موسمية دائمة أخيرا على ما فى ذلك من تناقض. هى فى الصحراء وليست منها، إنها واحة ضد-صحراوية بل ليست بواحة وإنما شبه واحة، هى فرعونية بالجد، ولكنها عربية بالأب ثم إنها بجسمها النهرى قوة بر، ولكنها بسواحلها قوة بحر، وتضع بذلك قدما فى الأرض وقدما فى الماء .. قلب العالم العربى. وواسطة العالم الإسلامى، وحجر الزاوية فى العالم الإفريقى". يا لها من كلمات كاللؤلؤ.

٢٩ - قال المصرى القديم: "كل من يرى النيل فى فيضانه تدب الرعشة فى أوصاله .. أما الحقول فهى تضحك، والشواطئ تكسوها الخضرة .. وتتساقط هدايا هذا الرب (الأسطورى) وتعلو الفرحة وجوه البشر".

٣٠ - هيرودوت أراد أن يضم منطقة الدلتا إلى قارات العالم الثلاث التى كان اليونانيون قد عرفوها وهى أوروبا، وآسيا، وليبيا. قال فى كتابه: ".. فأحب أن أبين أن اليونانيين والأيونيين بالذات لا يفقهون حسابا حين يزعمون أن العالم جميعه مكون من ثلاثة أجزاء، أوروبا، وآسيا، وليبيا. إذ يجب عليهم أن يضيفوا إلى ذلك رابعا، (وهو) دلتا مصر، ذلك لأنها إذا لم تكن جزءا من آسيا ولا جزءا من ليبيا، لأن النيل فى الواقع على هذا الحساب، ليس هو الذى يفصل آسيا عن ليبيا". أرأيتم كيف تغير الفكر الجغرافى وشكل الخريطة عبر الزمن.

٣١ - كرر العالم الجغرافى "سترابون" (عاش من ٦٣ قبل الميلاد إلى

٢٤ ميلاديا) ما قاله الفيلسوف والعالم الشهير "أرسطو" ونقل مقولته التى تقول بأن مياه النيل تغلى عند نصف درجة الحرارة التى تغلى عندها مياه باقى الأنهار.

٣٢ – المؤرخ والعالم المجتهد ديودور (أو "تيودور") الصقلى مدح نهر النيل على أرض الواقع كاتبا: "إن النيل يتفوق على جميع أنهار العالم فى فضله على البشرية".

٣٣ – قال المسعودى: "نهر النيل من سادات الأنهار وأشراف الأبحار". وقال أيضا مبرزا تفرد النيل فى تسميته بالبحر: "وليس فى أنهار الدنيا نهر يسمى بحرا غير نيل مِصر لكبره واستبحاره".

خريطة النيل للإدريسى:

رسم العبقرى "الإدريسى" خريطة مفصلة لنهر النيل طبقا لزيارته الدراسية لهذا النهر العظيم[1]. ولكن، وقبل أن أشرح لكم هذه الخريطة المهمة تاريخيا وجغرافيا دعونى أعرفكم على هذا المثل العالى من علماء المسلمين الجهابذة.

من هو الإدريسى:

وُلد "أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن إدريس بن يحيى بن على بن محمود بن ميمون الحمودى" فى ١٠٩٩ ميلاديا، وهو من أصل

(١) نهر النيل الآن يعتبر ثانى أطول أنهار العالم بعد نهر الأمازون فى أمريكا الجنوبية.

يرجع إلى عائلة كانت تحكم "سبتة"[1] وجنوبى الأندلس" حيث درس فى صغره وشبابه وخصوصا فى "قرطبة". يعتبر من أهم الجغرافيين والرحالة الذين لهم أثر فى علوم البلاد وأماكن الأقطار وسمات الأراضى والحياة الطبيعية بها. وقد زار مدينة "لشبونة" وشمالى إسبانيا وإنجلترا الجنوبية وشواطئ فرنسا ثم زار آسيا الصغرى. زار مصر والشام وهو فى عمر لم يتجاوز ستة عشر عاما. أى إنه كان شابا صغير السن ولكنه كانت تبدو عليه سمات العبقرية منذ البداية. كانت شهرته عالمية فدعاه الملك النورمانى "روجر الثانى" ليحل ضيفا مثقفا عليه وطلب منه أن يصنع له كرة أرضية عليها خرائط الأقاليم السبعة[2] بالتفصيل. فأصبحت هذه الكرة الأرضية الأولى من نوعها وقيل إن وزنها وصل إلى ٤٠٠ رطل، وكانت مصنوعة من الفضة. أعجب الملك "روجرز" بهذا الإنجاز غير المسبوق فأهداه المال والفضة وشحنة سفينة من المتاع الغالى. كتب مخطوطه الفذ والذى شرح فيه بالتفاصيل الدقيقة جدا بلاد العالم التى زارها وكان عنوانه "نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق". ولكنه برع فى الطب والصيدلة أيضا فقد كتب "الأدوية المفرجة"، وفى علم النبات أيضا كتب "الجامع لأشتات النبات"، وبرع فى الشعر فكتب "روضة الأنس ونزهة النفس". أما عن عدد الخرائط التى رسمها فقد وصلت إلى ٧٠ خريطة وقسمها ليكون لكل إقليم من الأقاليم السبعة، عشرة من الخرائط. ياله من شخصية فذة مازلنا نستفيد من علمه حتى الآن.

---

(١) ولد فى "ثغر سبته"

(٢) كان العالم فى ذلك الوقت مقسم ٧ أقاليم

خريطة الإدريسى لنهر النيل الإفريقى :

وضع الإدريسى فى الجانب الأعلى من خريطته موقع "جبل القمر" والذى كان يعتقد البعض أنه مصدر ونبع نهر النيل قديما. وبهذا تعتبر هذه الخريطة لدارسها الآن مرسومة بطريقة مقلوبة حيث إن الدلتا والإسكندرية فى أسفل الخريطة على رغم أنهما الآن يعتبران فى شمال مصر وشمال نهر النيل، وجبل القمر، على رغم أنه فى أسفل نهر النيل (للناظر إلى خريطة النيل الآن) إلا إنه وضعه ورسمه فى شمال الخريطة. لماذا فعل الإدريسى هذا ؟ الإجابة هى أنه ربما أراد أن يرسم الخريطة بطريقة تبين جريان المياه وسريان التيار المائى من الجنوب إلى الشمال، وهو ما تفرد به نهر النيل.

شمال الخريطة تبدأ كما ذكرنا برسم لتل كبير رامزا لجبل القمر على شكل نصف دائرة، كتب فوقها "وراء جبل القمر". يخرج من الخط المستوى المستقيم الذى يمثل خط منتصف الدائرة الأسفل تسعة فروع، أربعة على اليمين وخمسة على يسار الناظر إلى الخريطة. تنتهى هذه الفروع فى دوائر كبيرة أطلق عليها الإدريسى البطيحة الأولى[1] (وهى التى تصب فيها الأفرع الأربعة اليمنى)، والبطيحة الثانية (وهى التى تصب فيها الأفرع الخمسة اليسرى). ثم يستمر الرسم ليبين لنا أن هناك أربعة أفرع يخرجون (تجاه الجنوب فى

(١) البطيحة فى مختار الصحاح هى من الإبطاح ومعناها مسيل واسع.

الخريطة أى الشمال الآن حسب خريطة اليوم وحسب اتجاه جريان الماء النيلى) من البطيحة الأولى، اثنان طويلان جانبيان، واثنان صغيران فى الوسط، يلتقيان ليشكلا فرعا واحدا عريضا. نفس الشئ نجده خارجا من البطيحة الثانية يخترق الأفرع الثلاثة الكاملة خط الاستواء. تلتقى كل هذه الأفرع فتصب فى دائرة صغيرة أسماها "الإدريسى" – الجهبذ – البطيحة الصغيرة، والتى يخرج منها نهر واحد يلتوى موازيا للأفرع الثلاثة الكاملة التى خرجت بعد تجمع كل من البطيحة الأولى والثانية وعلى يسار الناظر إلى الخريطة توجد دائرة تعلوها كلمات تتضمن كلمة "النيل" ويخرج منها نهر طويل ينضم إلى النهر الآخر الملتوى السابق ذكره. ينتهى عند هذه الدائرة رسم خط الاستواء. بين النهرين الكبيرين كتب الإدريسى "بلاد النوبة". وعلى يسار النهر الأيسر وفى منتصفه تقريبا كتب أسماء بعض المدن مثل "دعاوه" و"فران" و"علوه". يلتقى النهران ويمران ويتفرعان مرة أخرى ثم ينضمان ثانية، ونجد على الاتجاه الشرقى للفرع الأيمن اسم "دنقلة". ثم يجتمعان للمرة الثانية ليكونا نهر النيل كما نعرفه (شمال الخرطوم الآن)، نهر واحد لا يتفرع إلا عندما يكون الدلتا. هذا اللقاء الحميم بين النهرين يخترقه فى بداياته خط مستقيم سماه الإدريسى وأطلق عليه الإقليم الأول. ومن هنا يبدأ الجهبذ الجغرافى الإدريسى فى ذكر أسماء المدن والمناطق المهمة فى مصر مثل أسوان وقوص وأخميم ثم أسيوط التى يخترقها خط مستقيم مكتوب عليه

الإقليم الثانى، ثم الأشمونيـــون[1] ثم الجيزة (سميت هكذا لاجتيازها أى عبورها)، ثم الفســطاط (أول عاصمة إســلامية لمصــر فى عام ٦٤٢ ميلاديا والتى أســسـها القائد عمرو بن العاص. والفســطاط هو الخيمة ولكثــرة عدد خيام جيش القائد عمرو أطلق عليها الفســطاط وهى مصر القديمة الآن، وبها أقدم مســجد فى إفريقيا وهو "جامع عمرو"، وفى الماضــى لم يكن هنــاك أى عائق أو بناء بينه وبين نهر النيل). ثم كتب الإدريسى أسفل الجيزة كلمة "الريف"، وعلى يسارهم رسم جبلا كبيرا أسماه "المقطم" (أطلق عليه هذا الاسم لأنه ربما تكون صخوره فى حالة تقطم أى تكسير أو تحطيم). ثم تنتهى الخريطة فى أسفل الرسم بالدلتا والتى لم يســمها الإدريســى هنا ولكنه كتب فى طرفها الأسفل الأيمن اسم "الإسكندرية" والأيســر "دمياط". رسم الإدريسى الدلتا هنا وبها أفرع خمسة ، والفرع الخامس الأيمن يتفرع إلى فرعين يتجهون جميعا ناحية البحر المتوســط. تخيلوا معى يــا أصدقائى أن كل هذه التفاصيل المنفصلة والدارسة الوافية والخريطة المتناهية الدقة أنجزها الإدريسى بدون أقمار اصطناعية ولا طائرات ولا مســح جغرافى بالكمبيوتر وهو ما يزيد عبقرية هذا العالم فى ذاكرة التاريخ. هذا ما جعل العالم يقدره قديما ومازالت تحترم أعماله حديثا.

---

(١) الاسم يأتى من كلمة قديمة تعنى الثمانية لأنه كان هناك أرباب أسطوريون يعبدون فيها هى الآن فى محافظة المنيا وتعتبر من الأماكن السياحية المهمة لاحتوائها على آثار مهمة

القناطر والمصرى الشاطر:

تعتبر القنطرة أهم ابتكار أنجزه المصرى على مدار العصور فى طور تعامله مع نهر النيل . وقد ذكر القضاعى والمقريزى العديد من القناطر , ومنها قناطر الخليج الناصرى وقنطرة تم تشييدها فى زمن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم مكانها فى طرف الفسطاط , وكانت تفتح عند وفاء النيل بالمنسوب الذى يساعد المزارعين. قنطرة السد التى كانت تستخدم أيضا كطريق إلى منشأة المهرانى التى ذكرها المقريزى فى خططه. وقد زرت منذ عدة سنوات "قناطر السباع" التى شيدها الملك الظاهر بيبرس البندقدارى , وكان رمزه كمملوك (كان الرمز يسمى رانك) رنكة الأسد (أو السبع) وهذا هو السبب أنك عندما تزور هذه القناطر الكبيرة تجد عليها أشكال أسود والتى أعاد وضعها الملك الناصر محمد بن قلاوون عندما أمر بهدم الأصلية وإعادة بنائها أوسع مما كانت عليه بعشرة أذرع . وفى الماضى كان من الممكن أن تصل إلى بر الخليج الغربى فى مصر عن طريق قنطرة عمر شاه على الخليج الكبير , وكان هناك أيضا قنطرة "طقزدمر" وقنطرة "آق سنقر" وقنطرة "باب الخرق" التى شيدها الملك الصالح نجم الدين أيوب وقنطرة "الموسكى" (اسم موسكى أصله مأخوذ من اسم "الأمير عز الدين موسك" الذى وصفه المقريزى بالخير والمواظبة على تلاوة القرآن الكريم الذى يحفظه,وقال عليه أيضا إنه كان "...يحب أهل العلم والصلاح ويؤثرهم" , وقد كان قريب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قاهر الصليبيين. ومن ضمن القناطر التى شيدت على الخليج الكبير القنطرة التى أنشأها الأمير

سيف الدين حسين , وقنطرة باب القنطرة التى شيدها جوهر الصقلى الذى أشرف على بناء القاهرة للمعز الفاطمى . وقناطر باب الشعرية والأوز وبنى وائل والأميرية والفخر وقدادار والكتبة والمقسى وباب البحر والحاجب والدكة وبحر أبى المنجاو والجيزة والبرك والحبش.

كنوز نهر النيل :

أول ما تُذكر كلمة كنز أو كنوز تقفز إلى مخيلتنا جميعا صورة صندوق خشبى مزود برقائق من المعدن وله قفل كبير قديم يعلوه الصدأ، وفى داخل هذا الصندوق توجد القطع المعدنية الذهبية والفضية وعقود وسلاسل مصنوعة من الأحجار الكريمة، ولكنى هنا لا أتكلم عن هذه النوعية من الكنوز، بل أنا أتكلم عن الخضروات والثمار والفاكهة والأشجار وأنواع البوص والبذور التى أنتجتها عملية الرى التى ابتكرها الفلاح المصرى القديم مستخدما أدواته الزراعية المتقدمة والمتطورة آنذاك مثل الشادوف الذى يساعد على رفع المياه – فى دلو أو إناء مصنوع من الخشب أو الجريد أو البوص أو المعدن فيما بعد – من مستوى منخفض إلى أعلى حيث الأرض المراد ريها. وقد ابتكر أيضا آلة الحرث والفأس وأدوات تقلب الأرض لكى تختلط التربة الرملية الأقل خصوبة مع الطمى الذى جاء مع الفيضان حتى يظل كاسيا أرض الفلاح السعيد. هذه الكنوز استمرت ومازالت مستمرة حتى الآن، يستفيد منها الشعب المصرى كله والعالم. نتذكر جميعا كيف كانت مصر تعتبر المصدر الرئيسى للقمح الذى يصنع من دقيقه الخبز لكل العالم فى

زمن الإمبراطورية الرومانية. أنتجت المزارع المصرية القديمة محاصيل عدة منها الفول والقمح والشعير (وقد تم استخدام "الرحايا" فى طحن هذه البذور وتحويلها إلى دقيق ناعم لعمل الخبز والفطائر، ولقد أطلق على الخبز فى الكتابة المصرية القديمة لفظ "بتاو" وهو اللفظ الذى يعيش حتى الآن فى لغتنا)، والأتة أو القثاء (هى تشبه الخيار ولكنها أكبر وأطول)، والخس (الذى تناوله المصريون القدماء بكثرة وحب، واستخدموا زيته وعصارته فى بعض الوصفات والعقاقير الطبية)، والترمس (وقد وُجد داخل المقابر مجففا ولكنه فى حالة مذهلة من الحفظ)، والكرفس، والكرات، والبصل، وحب العزيز، والثوم، والملانة (التى يحلو للمصريين حتى الآن تناولها فى أعياد شم النسيم، وكلمة شم هنا ربما تكون قد جاءت فى الأصل من اسم موسم الحصاد وبداية الصيف والازدهار الهيروغليفى وهو "شمو"، والملانة سميت هكذا لأن الحمصة تكون قد امتلأت، ومن المثير للدهشة أنك إذا نظرت إلى الملانة قبل تناولها سوف تجد أن لها نتوءة مدببة بعض الشئ وهو ما جعلها تشبه وجه الصقر بمنقاره المدبب، وربما يكون هذا هو السبب الذى جعل المصريين القدماء يربطون بينها وبين "حر" أو "حورس" المعبود الذى كان يرمز له بطائر الصقر رمز الحماية والقوة والشباب والعنفوان والخير)، والتين بأنواعه، والتمرحنة، والبلح (كان يصنع منه الفطائر والمشروبات)، والدوم، والزيتون (ومنه الزيت المفيد)، والرومان (على رغم دخوله إلى مصر قبل الملك "دجحوتى – مس" (تحتمس الثالث) إلا أن الاسمين ارتبط بعضهما مع بعض وذلك لأن

فى إحدى غرف الملك الحجرية بمعبد الكرنك تم نحت مناظر واضحة لهذه الفاكهة اللذيذة والتى عصرها المصرى القديم وتناولها كمشروب أيضا)، والعنب (الذى لعب دورا مهما فى تاريخ المأكولات فى مصر القديمة ولقد زين بعض النبلاء أسقف مقابرهم بمناظر بديعة لكرمات العنب، وقد كان يعين بستانى راق ليكون هو المسئول عنها)، والبوص الذى كان يُستعمل فى صناعة السلال وأدوات الكتابة (مثل الريش والأقلام فيما بعد) التى استخدمها الكاتب والتى كانت وظيفته تعتبر من أرقى وأهم الوظائف فى المجتمع المصرى القديم، واستعملها أيضا المدرسون والمعلمون والمؤدبون والطلاب والتلاميذ، ودائما ما كان ينصح الأب ابنه بالتعلم والبعد عن الأمية والجهل، وكانت الأم حريصة على اصطحاب أولادها إلى التعليم والمدرسة. يقول الأب فى نص قديم لابنه: "اقرأ بجد فى الكتاب .. اكتب بيدك، واقرأ بعينك .. واستشر من هم أنبه منك ... ولا تتراخ ... واعمل على فهم طريقة أستاذك واصغ إلى تعاليمه"، ويقول أيضا عن وظيفة الكاتب ناصحا ابنه: "... والكاتب الذى ينبغ فى حرفته سعيد، فهو أستاذ تربية ..ضع الكتابة فى صدرك .. اكتب لنفسك هذه الحرفة العظيمة.. عود نفسك على أن تكون كاتبا حتى يمكنك أن تدير جميع الأرض ... أسرع إلى تلك الحرفة بسرور .. الكاتب يجلس فى حجرة السفينة وأولاد العظماء يجدفون له، وليس عليه حساب يدفعه، والكاتب ليس عليه ضرائب يؤديها، ... إن أدوات كتابتك تغدق عليك السرور والثراء ويكون قلبك فرحا كل يوم، فافطن لذلك".

أما عن شـجرة الجميز فهى قد زُرعت فى مصر قبل عصر الأسرات والملـوك المعروفين بالفراعنة الآن. كان المصرى يأكل ثمارها ويسـتفيد بخشبها فى صنع الأثاث المنزلى والقوارب والتوابيت، ودخلت فى صنع بعـض العقاقير الطبية. هذا بالطبـع بجانب نبات البردى وغيرها من الكنوز الطبيعية للنيل.

الترعـة الكبيـرة :

كانـت كلمة "إتـرو" من ضمن الأسماء التى أطلقهـا المصرى القديم علـى النهر، وإذا أضفنـا كلمة كبير أو عظيم وهى "عا" سـوف تصبح الكلمـة "إتروعـا" أى النهر العظيم أو الكبير. ربمـا تكون هى جذور الكلمة العربية "الترعة" التى نستخدمها الآن عندما نريد أن ندلل على مصرف أو مجرى مائى سـواء كان طبيعيا أو من صنع الإنسان. وقد شق المصرى العديد من الترع لأغراض الرى واسـتخدمها ليضع بها قواربه ومراكبـه لتكون وسـائل مواصلاته وانتقاله من مـكان إلى آخر أو نقل بضائعه لغرض التجارة والتعرف إلى الآخر، بل ونقل المسلات الثقيلة والتماثيل شديدة الارتفاع من مكان نحتها وقطعها و تزيينها إلى المعبد أو المكان المراد وضعها فيه.

النيـل فى سينـاء :

أثبتنـا من قبل أن فرعا كبيرا مـن أفرع نهر النيل اتجه إلى منطقة سـيناء قديما وربما يكون قد تغلغل داخـل المنطقة الصحراوية ليجلب

الخصوبة والنماء على ضفتيه. وفى أثناء شق ترعة السلام، هذا المشروع العبقرى الذى يستفيد منه المصريون، طالعتنا الصحف اليومية بأن هناك اكتشافا تم ولكن لم يكن هذا الاكتشاف التاريخى تمثالا لحاكم مهم أو معبد كُرِس لعبادة رب أسطورى أو لقناع ذهبى مذهل، ولكن لبعض التماسيح. الغريب والمثير فى هذا الكشف الذى حدث فى أواخر القرن العشرين أن التماسيح لم تكن محنطة (كما فعل المصريون القدماء والأوائل) ولكنها كانت متحجرة وهو ما يؤكد وجودها فى هذا المكان وهذا المصرف المائى منذ زمن طويل جدا، حتى قبل عصر الأسرات. إذن، لقد وصل نهر النيل إلى هذا المكان ليؤكد من جهة مصرية سيناء الغالية، ومن الجهة الثانية ليثبت كيف أن أذرع نهر النيل قد امتدت لتكون سبيل عيش وخضار ونماء زمن قديم فى قلب أماكن صحراوية، وهو ما أعاد ذكراه العامل المصرى عندما نجح فى شق ترعة السلام التى تذهل كل من يراها.

نهر ذو ألوان :

يطلق على فيضان النيل عند وصوله إلى قرب الدلتا، النهر الأحمر أو النيل الأحمر دلالة على اختلاط مياهه مع الغرينة البنية اللون والمائلة للاحمرار. ولكن هناك ألوانا أخرى يوصف ويسمى بها، أفرع عديدة وأنهار عظيمة تعتبر من ضمن الأعضاء المهمة والحيوية لجسد هذا النهر المتشعب.

نهر النيل معروف بأنهاره الفرعية والرئيسية العديدة ومنابعها الغنية. وفى حقيقة الأمر، تنتهى كل هذه التشعبات المعقدة والمكونة لشبكة من المصارف المائية يستفيد منها شعوب عشر بلدان لنهرين هما الأهم بالنسبة لمصر وشقيقتها السودان، وهما النيل الأبيض والنيل الأزرق. النيل الأبيض يعتبر أطول من الأزرق ومع هذا يضخ النيل الأزرق كميات أكثر من المياه. يخرج النيل الأزرق من منبعه والذى يسمى ببحيرة "تانا" فى "أثيوبيا" ويتجه جنوبا ثم غربا ثم شمالا ليلتقى بأخيه القادم بسرعة وشغف لملاقاته، النيل الأبيض الذى يستفيد فى أصوله ببحيرة فيكتوريا بالحبشة. هذا اللقاء الحميم يحدث شمال الخرطوم، عاصمة السودان. يتكون من هذا اللقاء مجرى واحد ونهر واحد ألا وهو نهر النيل الذى نعرفه نحن فى مصر الكنانة. إذن لا يصبح نهر النيل نهرا واحدا ومجرى واحدا إلا فى شمال الخرطوم وصاعدا.

النيل والنظام :

استقر المصرى على ضفاف النيل وابتكر الزراعة وطورها، وكان هذا الابتكار بداية لتنظيم الحياة الاجتماعية وتحديد مهام كل فرد من أفراد المجتمع بصفة عامة وأفراد الأسرة الواحدة بصفة خاصة. تعلم المصرى من النيل الاستمرارية والبحث والعلم والفلك (لأنه العلم الذى أوصله إلى معرفة أوقات الفيضان والانحسار) والحساب وغيرها من العلوم المفيدة. ولكنه تعلم منه أيضا كيفية مواجهة المصاعب

الناجمة عن انهدار مياهه بقوة مدمرة أو عدم إتيانه مما يؤدى إلى حالة من الجفاف والقحط التى تؤدى إلى مجاعات ونقص فى الثمار والخضار. فبدأ يبتكر فكرة الأسوار والخزانات والسدود بداية من سد وادى "جراوى" بمنطقة حلوان والذى تم تشييده فى وقت ما قبل عصر الأسرات[1]. أصبح ومازال وسوف يبقى نهر النيل هو العمود الفقرى لمصر، فقد شكل الوجدان المصرى والكيان الزراعى. أبهر النيل الجميع، مصريين وأجانب، فقد كان الرومان يطلقون عليه "إيجوبتوس" (وهى الكلمة التى تحولت فيما بعد إلى "إيجبيت Egypt" وهو اسم "مصر" الآن باللغة الإنجليزية). أما عن الفرس (إيران الآن) فقد عشقوا مياه النيل وحلاوتها ونقاءها مما جعلهم يبعثون بالمراسيل والجنود والفرسان لجلب مياه النيل إلى بلادهم (تخيلوا معى المسافة الطويلة التى كان على هذا المرسال أو الفارس الفارسى قطعها ذهابا وإيابا لكى يشرب الفرس ماء النيل. ثم إن هذه الرحلات أثبتت للجميع أن ماء النيل يبقى على حاله ولا يعطب أو يسوء طعمه أو يصيبه العفن أو عدم صلاحيته لمدة وقت طويل جدا).

كان اليونان يطلقون على أولادهم اسم "نيلوس". ومهما بعد الإنسان عن نهر النيل فهو باقٍ فى ذاكرته، وعلى أولويات اهتماماته، فمثلا لدينا فى التاريخ القصة الشهيرة التى تقول بأن الإسكندر الأكبر

(١) يعتقد الكثير من العلماء أن سد "وادى جراوى" هو أقدم سد تم تشييده فى العالم. وقد بنى لتخزين مياه الأمطار لكى يتم الاستفاده منها فى وقت الصيف

(الثالث المقدونى) كان قد اعتقد عندما كان يغزو الهند ورأى الأنهار والمياه هناك أنه وصل إلى منابع النيل. من الواضح أن معرفة من أين يأتى هذا النهر الطويل وما هى مصادره كانت الشغل الشاغل لعدد كبير من الناس من مختلف الأزمنة والجنسيات. منهم من اعتقد أنه يأتى من الجنة وآخرون اعتقدوا أنه يأتى من جبال القمر فى إفريقيا السمراء، أما عن "هيرودوت" اليونانى فعلى الرغم من أنه هو الشخص الذى أطلق اسم "الدلتا" على المساحة الخصبة بشمال مصر لأنها تشبه حرف الـ "دلتا" فى الهجائية عندهم، إلا إنه وقع فى خطأ جسيم – وما أكثر أخطاء هذا الرحالة – عندما قال إن نهر النيل يأتى من منطقة الأطلسى المغربية (شمال غرب إفريقيا الآن). وهذا ما أثبته المغامر والرحالة "ليفينجستون" خطأ حيث كشف عن مصدر مهم ورئيسى من مصادر نهر النيل وأطلق عليها اسم "بحيرة فيكتوريا" وهو اسم ملكة إنجلترا.

أضاف الأجانب العديد من الأدوات للتعامل مع النيل، فقد تأثر اليونان والرومان بالابتكارات المصرية القديمة، فأخذوا منها وطوروها. فى القرن الثانى قبل الميلاد بدأ استخدام آلة جديدة تساعد الفلاح المصرى على رفع المياه إلى أراضيه لغرض الرى، أطلق عليها الساقية. ابتكر أيضا العالم "أرشيميديس" "الطنبور"، والذى يتكون من أسطوانة ينتهى طرفها غاطسا فى ماء النهر أو الترعة، والطرف الآخر فى يد الفلاح الذى إذا بدأ بتدوير الطنبور تصعد المياه فى القناة

الداخلية للطنبور الأسطوانى الشكل لتصعد المياه بسرعة إلى أعلى حيث تنهدر فى فتحة مؤدية إلى ترعة أو مجرى ليس عريضا لتدخل المياه إلى الأرض المراد ريها. ويتم الآن – للأسف الشديد – استبدال هذه الآلات القديمة المفيدة والمناسبة للمكان والصديقة للبيئة الصحية النظيفة حيث لا يصدر عنها أية عوادم أو دخان أو أى تلوث من أى نوع، بل بالعكس، فقد كانت تضفى على المكان نظافة وجمالا شكليا ورومانسيا مثل السواقى السبع فى الفيوم مثلا. الآن، لا نجد الطنبور والشادوف بكثرة، فعددهم فى انخفاض، مازالت السواقى تعمل وتكافح الاختفاء والتغير. كانت الآلات الزراعية مثل المحراث والطنبور والشادوف، والرحاية والعجين فى المنزل الريفى من أسباب تميز صحة الفلاحين وقوة بنيانهم وبعدهم عن أمراض الظهر والفقرات وآلام الرقبة والمفاصل، فقد كانت تجعلهم مفتولى العضلات لأنهم يستخدمون أغلب أعضاء جسمهم وهم يعملون عليها رجالا ونساء. ولكن، ومع دخول الميكنة والشفاطات الكهربائية والمضخات والسولار وغيرها جعلت العمل اليدوى أقل. وبرغم أن رفاهية العمل على ضفاف النيل وفروعه وترعه ومصارفه بالماكينات والعربات والمحاريث الميكانيكية تريح الفلاح وعائلته من عناء العمل اليدوى المضنى، ولكن يجب ألا نترك هذه الموروثات تختفى لأنها تشكل وجدان التاريخ المصرى وإنجازاته.

عـروسة قمـح نيلـى :

منذ عهـد المصريين القدماء كان هناك اهتمـام كبير بعمل عرائس مصنوعة من سنابل القمح لتقدم إلى صاحب المزرعة لكى يتأكد من صحة ومسـتوى المحصول الذى زرعه العمال فى أرضه. عاشـت هذه العادة حتـى اليوم حيث نجـد الأطفال فى القرى والنجـوع يصنعون عرائس من سـيقان وسـنابل القمح الخضراء والصفراء يلعبون بها أو يبيعونها أو تعلق على أعتاب البيـوت تعبيرا عن الفرحة بالخير الذى يأتى به القمح الذى روته مياه نهر النيل.

حيـوانات نهر النيـل :

حيـاة المصرى القديـم – قبل بناء السـدود والخزانـات الحديثة الضخمـة – جعلتـه يتعامل مـع الحيوانات والكائنـات التى تعيش وتسـتوطن مجرى نهر النيل وبحيراته. بعـض هذه الحيوانات كانت تشكل خطورة على حياة الإنسـان المصرى وزراعته ومحاصيله. ولذلك حـاول ترويض بعضها والدفاع عن نفسـه ضدها عندما تهاجمه أو قبل مهاجمتها له وابتكر الأسلحة لهذا الغرض. أهم وأكثر هذه الحيوانات انتشارا فى زمن الأسرات القديمة كان التمساح، أطلق عليه اسم "مسح". على رغـم عدائه إلا أن المصرى حاول اسـتقطابه رمزيـا فأعطاه ألقابا دينيـة عديدة مثـل رب المياه والخصوبة الأرضيـة والقوة. وتم تحنيط التماسيح، وبناء المعابد لها مثل معابد كوم امبو والفيوم، وأطلقوا على

الرب الأسطورى الذى يرمز إليه هذا التمساح اسم "سوبك". فى حالات فنية كثيرة وعلى الجدران نجد أن صاحب المقبرة يقتل التمساح الذى يرمز هنا لقوى الشر. حيوان آخر هو فرس النهر (السيد قشطة باللغة العامية) والذى يتميز بضخامة جسده، ويحب هذا الحيوان الكبير أن يخرج من مياه النيل متوجها إلى الأراضى المزروعة ليأكل المحاصيل والمزروعات الخضراء. اتخذ المصرى القديم أنثى فرس النهر كربة أسطورية وأطلق عليها (تاويريتا. كانت ترمز إلى الولادة والإنجاب وحماية الأم الحامل. كانت تمثل واقفة أحيانا وهى تحمل فى يدها رمز "عنخ" أى الحياة، ورمزا آخر هو الـ "سا" وهو رمز الحماية. ثم صنع العديد من القلادات والتماثيل الصغيرة والكبيرة لها. بجل واحترم المصرى هذه الحيوانات لقوتها وأدائها فى الطبيعة، واتقى شرها بطريقتين:

١ – الدفاع عن نفسه ضدها.

٢ – رمزيا، أعطاها هيبة واحتراما دينيا وجعلها رموزا مقدسة تقدم لها القرابين والعطايا وتتلى لها التراتيل وتنشد لها الأناشيد الطقوسية.

قانون الضرائب :

اعتمد نظام الضرائب المصرى القديم اعتمادا كليا على نهر النيل، فإذا ما ارتفع منسوبه وكان من السهل على الفلاح أن يروى أرضه، بدأت الحكومة فى جمع الضرائب والتى وصلت إلى خُمس المحصول.

كانت الضرائب تسلم لموظفى الخزانة العامة أو لإدارة المعبد إذا كانت هذه الأراضى التى خرج منها المحصول فى الأصل مخصصة لها. أما إذا لم يأت الفيضان وكان المنسوب قليلا ومنخفضا (مثلا يصل ارتفاع المياه إلى ١٢ ذراعا أو أقل، والذراع المصرى القديم كان حوالى ٥٢سم) كانت تخفض الضرائب أو يستثنى الفلاحون منها تماما فى هذه السنة التى لم يَفِضْ فيها النيل لأسباب خارجة عن إرادة الفلاحين. كان الجندى المصرى المجند يدفع ضرائب أقل من الوظائف الأخرى وذلك لتشجيع الشباب للانضمام إلى الجيش. أما عن الكاتب لم يكن يدفع الضرائب أبدا تقديرا لمهنته وإنجازاته الثقافية.

كلمات مصرية قديمة :

من المثير أن هناك العديد من الكلمات التى مازلنا نستخدمها حتى يومنا هذا مرتبطة فى اللفظ والصوت والحروف والمعنى بالزراعة والنيل والمحاصيل. وإذا درسنا اللغة المصرية القديمة نجدها قد بدأت بالهيروغليفية (الكتابة المقدسة أو "ميدو-نتر" كما أطلق عليها المصرى القديم ومعناها "كلمات الرب") ثم اختزلها المصرى لتكون أسرع وأسهل كتابة فنتج عن هذه الكتابة الهيراطيقية (التى استخدمها العامة والكهنة وكتاب الرسائل والوثائق والأوراق)، ثم تم اختزالها إلى لغة وكتابات العامة ويطلق عليها الكتابة الديموطيقية (من "ديموس" أى العامة باليونانية)، ثم أخر مرحلة من مراحل اللغة المصرية القديمة وهى الكتابة القبطية (بمعنى الكتابة المصرية) قبل دخول المسيحية،

وهى عبارة عن سبعة أو تسعة حروف من الديموطيقية ممزوجة فى الهجائية اليونانية. كان للقبطية ومازال العديد من اللهجات مثل الفيومية والصعيدية والأخميمية (ومنها الأسيوطية) والبحيرية يُستخدمون حتى الآن. البحيرية هى اللكنة التى تسمعها إذا ما ذهبت إلى الكنيسة واستمعت إلى التراتيل بالقبطية القديمة. الكلمات التى عاشت من الماضى حتى الآن كثيرة منها:

لبشة (قصب)، شونة (من شونى)، فوس (فأس)، ويبه (ويبة قمح وهو وزن من الأوزان)، هوب (أى عمل أو شغل ومنها "هيلا هوب" أى هيا إلى العمل)، بورى (نوع من السمك)، بورش (بساط يفترش الأرض)، كلمة أبه وأبا (كلمة ما زالت تقال فى الصعيد أبه، وأبا هنا بمعنى صاحب أو أبو مثل فى الاسم المسيحى "أبانوب" أى صاحب أو أبو "نوب"، كلمة هيروغليفية فى الأصل معناها "ذهب"، إذن هو "أبو الذهب"[1].

بحيرات لوّنها النيل:

كلنا نعلم عن بحيرة ناصر فى النوبة العظيمة والتى يصل طولها إلى حوالى ٥٠٠كم وتبدأ خلف السد العالى وتغطى مساحة شاسعة تصل إلى داخل أراضى شمال السودان الشقيق. ومنذ تكوينها فى الستينيات من القرن العشرين أصبحت مصدرا مهما وحيويا لا غنى عنه للماء. يرتفع

(١) مقدمة الفلكور القبطى – عصام ستاتى – القراءة للجميع

منسوبها عندما تزيد كميات الأمطار التى تملأ البحيرات الإفريقية الممولة للبحيرة. وعندما يتم فتح السد العالى تنهدر المياه بسرعة كبيرة لتستقبلها أسوان أولا ثم سائر المدن والقرى والنجوع الواقعة على حوض نهر النيل سعيدة فرحة بالمياه. انهدار المياه بهذه القوة أيضا تم الاستفادة منه لتوليد الكهرباء عن طريق توربينات وماكينات على أحدث المستويات العلمية والتكنولوجية المتطورة. وعلى الرغم من أن نسبة الطمى قد انخفضت بعد بناء السد العالى إلا أنه كمشروع يعتبر هو الأهم فى القرن العشرين وذلك للأسباب السالف ذكرها ونضيف أنه أنقذ مصر من الفيضان الهادر والذى كان يدمر المبانى والأراضى ولا يُستفاد من مياهه كثيرا، وأنقذ مصر من المجاعات والقحط والجفاف الذى كان سوف يصيبها لو لم تكن بحيرة ناصر قد تكونت خلفه لأنها أصبحت بمثابة الخزان الجاهز للاستعمال فى حالة قلة المياه الواردة من الجنوب الإفريقى، وهو ما حدث فى أواخر القرن العشرين وعانت العديد من الدول الإفريقية الصديقة من الجفاف الذى أتى على الأخضر واليابس ونفقت الحيوانات بل وتوفى عدد من الناس من جراء هذا الجفاف. فكرة صنع بحيرات[1] لم تكن جديدة على الشعب المصرى، فنحن نعلم أنه كان هناك بحيرات فى مصر القديمة أيضا مثل بحيرة "مويريس" التى ذكرها "هيرودوت"، والذى يعتقد أستاذنا

(١) تعتبر بحيرة ناصر من ضمن قائمة أكبر البحيرات التى تسبب فى تكوينها بنايات شيدها الإنسان وهى الآن مصدر مياه لا غنى عنه المصريين.

"أحمـد بدوى" أنها كانت من إنجازات المصريين الأوائل فى عصر الملك "إمنمحات الثالث" إبان زمن الدولة الوسـطى. هو هنا يتكلم عن "بحر يوسـف" التى تخرج قناته من منطقة "ديـروط" ناقلة مياه نهر النيل حتى تصل إلى منطقة الفيوم.

وقد أكد الجغرافيون القدماء مثل "ديودور" و"سترابون" أنها كانت تمتلـئ وتزيد فى وقت الفيضـان، وهى فكرة قديمة غايـة فى الذكاء لأنها بذلك تسـتوعب مياه الفيضان فتقلل من حدته وقوة انهداره قبل الدخـول إلى الدلتا وفـروع النيل فيها. ثم هنـاك أيضا بحيرة مريوط. يقول الجغرافى "سـترابون" عـن بحيرة مريوط: "ويمـلأ النيل هذه البحيرة بواسطة قنوات عديدة من أعلى ومن الجوانب".[1] فكر المصرى القديم فى إيصال البحر الأحمر بالبحر المتوسـط (وهى نفس فكرة قناة السويس)[2] عن طريق وصلة نيلية. أثبتت المصادر والدراسات أيضا أنه كانت هناك قناة تصل بين النيل والبحر الأحمر شُقت فى عهد الأسرات المصرية القديمة ونقرأ فى التاريخ عن قناة "سنوسـرت الثالث" (سـنة ١٨٨٧ قبـل الميلاد) والذى يعتبره العلامـة "جورج حليم كيرلس" فى كتابه (قناة السـويس من القدم إلى اليوم. سلسة اقرأ – دار المعارف):

(١) النيل فى المصادر الإغريقية دكتور أبو اليسر فرج الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية طبعة عام ٢٠٠٤م

(٢) بدأ شـقها بسـواعد المصريين فى ٢٥ أبريل من عام ١٨٥٩م وأنجزوها فى ٨ أغسـطس عام ١٨٦٩م

"أول من فكر فى ربط البحرين المتوسط والأحمر، بطريق غير مباشر عن طريق النيل وفروعه ..". ثم جاء الملك سيتى الأول (حوالى عام ١٣١٠ قبل الميلاد) لعمل نفس المشروع مارا بالبحيرات المرة، ثم جاء الملك "نيخاو الثانى" من الأسرة ٢٦ ليعيد إنجاز المصريين الذين جاءوا قبله. وعلى رغم أن الفرس جاءوا غازيين إلا إنهم اهتموا بشق نفس القناة ليعيدوا الملاحة فيها ولتستخدم فى أغراض الملاحة ولكن فى وقت الفيضان النيلى فقط حيث يرتفع منسوب المياه بالشكل الذى يسمح للسفن بالعبور، ولكن لم يكن النجاح حليفهم لربط البحرين بشكل كامل. فى عهد "الإسكندر الثالث المقدونى" (حوالى ٣٣٢ قبل الميلاد) حاول أن يصل بسفنه من الإسكندرية إلى البحر الأحمر عن طريق الدلتا ثم البحيرات المرة، وفكر أيضا فى شق قناة تصل بحيرة البردويل ببحيرة التمساح ومنها إلى البحيرات المرة. ولكن لم يكتب له أن يرى تلك المشاريع المفيدة لأنه توفى فجأة عن عمر يقترب من الثلاثة والثلاثين عاما.

بعد وفاة القائد المقدونى الشهير جاء إلى حكم مصر الإغريق البطالمة. وأخيرا نجح الملك بطليموس الثانى (حوالى عام ٢٨٥ قبل الميلاد) أن يعيد الملاحة فى القناة التى سميت باسمه – ثم جاءت محاولة أخرى كبيرة فى عهد الإمبراطور الرومانى "تراجان" (حوالى عام ٩٨ ميلاديا) – ثم جاء عمرو بن العاص فى عام ٦٤٢ ميلاديا ليعيد الملاحة عن طريق شق قناة تصل الفسطاط (مصر القديمة الآن) إلى القلزم (السويس

الآن)، أطلق عليها قناة "أمير المؤمنين". ثم جاءت إصلاحات محمد على (حوالى ١٨٢٠ ميلاديا) ثم شق قناة السويس التى نعرفها جميعا الآن.

بحيرة ناصر السياحية :

أصبحت بحيرة ناصر فى الفترة الأخيرة جاذبة للسياحة والسائحين بشكل كبير وذلك لتفردها وتميزها بصفات ومقومات عديدة منها :

(١) اتساع مساحتها المائية والصحراوية مما يجعلها تتميز بالمناظر الخلابة، والأشكال الصحراوية والرملية والصخرية والجبلية الجذابة لغرابتها واختلافها عن أماكن أخرى فى العالم، وهو ما يبعث روح الشغف والمغامرة والغموض عند الزائر والسائح.

(٢) هدوء مياه بحيرة ناصر وعدم وجود أمواج أو تيارات مائية شديدة تجعلها مكانا مثاليا للاستجمام والراحة النفسية وهو نمط مهم من أنماط السياحة المعروفة.

(٣) عمق البحيرة يجعلها مكانا مناسبا للملاحة، وهو ما يحدث الآن، يوجد عدد من الفنادق العائمة المتميزة والتى تحوى كل أنواع الخدمات السياحية المتطورة.

(٤) تتميز سماء البحيرة ليلا بالجمال والصفاء وبالتالى يستطيع زائرها سواء من سطح الفندق العائم أو من الفندق المشيد على البحيرة مثل فنادق مدينة أبى سمبل أن يستمتع بالنظر بل وبدراسة النجوم والكواكب وتحركات القمر والأجسام الفلكية بسهولة

(٥) يوجد عدد كبير من الآثار التى تم إنقاذها من مياه بحيرة

ناصر وتم إعادة تشييدها فى مناطق من أماكنها الأصلية التى غمرتها المياه فى الستينيات من القرن العشرين. زيارة هذه الآثار تعتبر نقطة الجذب الأولى والرئيسية لبحيرة ناصر. ومن هذه الآثار:

١ - معبدا أبو سمبل: معبدان تم نحتهما فى عصر الملك رعمسيس الثانى (حوالى ١٢٥٠ قبل الميلاد)، تم نقلهما فى أكبر عملية إنقاذ فى تاريخ العالم الحديث اشترك فيها خبراء وعمال من حوالى أربعين دولة وتكلفت العملية حوالى أربعين مليون دولارا أمريكيا، واستمرت عملية تقطيع ونقل وتشييد المعبدين حوالى أربع سنوات وذلك لأن مياه بحيرة ناصر كانت ستغمرهما وذلك لأن الدراسات فى ذلك الوقت أكدت أن المنسوب سوف يصل إلى ١٨٣ مترا فوق سطح البحر (أرضية المعبد الكبير بأبى سمبل كانت ترتفع بمقدار ١٢٤ مترا، فى حين أن منسوب مياه خزان أسوان كان لا يتعدى ١٢١ مترا). تقع منطقة المعبدين حوالى ٢٦٠ كم جنوب أسوان. وتم تكريس المعبد الرئيسى لأربعة أرباب هم: "رع - حر - آختي" و"إمن" و"بتح" و (بتاح) و"رعمسيس الثانى" نفسه. تم نحت التماثيل لهذه الشخصيات الأربعة داخل غرفة يطلق عليها قدس الأقداس، ولاحظ الدارسون للمعبد الذى تم اكتشافه جزئيا عام ١٨١٣ ميلاديا ثم بشكل أكبر فى عام ١٨١٧ ميلاديا على يد الإيطالى "بلزوني"، أن أشعة الشمس تدخل من البوابة الرئيسية وتتوجه لإنارة التماثيل الثلاثة ولكنها لا تنير التمثال الرابع ل"بتح" (بتاح) لأنه رمز الظلام مرتين فى العام، مرة فى يوم ٢٢ فبراير والثانية فى

يوم ٢٢ أكتوبـر. وهذان التاريخان لا يمثلان يوم جلوس "رعمسيس الثانـي" على عرش البلاد ويوم عيد ميلاده كما هو شـائع، ولكن لهما علاقة بالمواسـم الزراعية والظواهر الفلكية. هذه الظاهرة تعبر وتؤكد عبقريـة المهندس المعمارى والفلكى والنحـات المصرى القديم، وهو ما يبهر العالم حتـى الآن فيتجمع آلاف الزائرين فى هذين اليومين قبل الفجر لرؤية هذه الظاهرة التى تسـتمر حوالى ٢٠ دقيقة تقريبا. المعبد الثانـي كان منحوتا لزوجته الملكـة "نفرت-إيرى" (خطأ نطلق عليها نفرتارى) وتم تكريسه للربة الأسـطورية "حوت حر" (ويُطلق عليها خطـأ "حتحور") ، ربة الجمال والموسـيقى والحـب والتركواز وربة سيناء الأسطورية.

٢ – كلابشـة: تم إنقاذ هذا المعبـد المهم فى عام ١٩٧٠م، وهو يقع على بعد حوالى ٥٠ كم جنوب مدينة أسـوان. تم إعادة بنائه والإضافة إليه فى زمن الحكم البطلمـي والرومانى، وكُرس لعبادة الرب النوبى الأسطورى "مارول". على جدرانه، تم نحت مناظر بديعة لشخصيات مصرية ورومانية أسـطورية وغير أسطورية مثل "وسير" (أوزوريس) و"إيسـت" (إيزيـس) و"وادجيـت" و"حر"(حـورس) و"دجحوتى" (تحوت)، والإمبراطور "أوغسطس" الرومانى، ومنظر مهم لعمدة كوم أمبو قديما واسمه "أوريليوس بيسـاريون"، ونقـش آخر لملك يونانى مسـيحى، ونص مكتوب باللغة المروية النوبية يذكر اسـم ملك قبائل البليميس الجنوبية شديدة البأس وغيرها من المناظر والنصوص المهمة.

تم الإنقاذ بيد المصريين والألمان ومن الممكن زيارته الآن ومشاهدته من على جسد السد العالى على بعد مسافة ليست ببعيدة.

٣ – بيت الوالى: شُيد فى زمن الملك رعمسيس الثانى وتم تكريسه لعبادة "إمن –رع" (آمون – رع) تم نقله بأكمله على أرض أكثر ارتفاعا. به مناظر تعبر عن غزوات الملك، ومنظر آخر شهير لهدايا وعطايا النوبيين للملك وكانت على شكل بيض وريش نعام وعاج وجلد الفهود وأشياء أخرى كثيرة.

٤ – معبد فيلة : يقع فى المساحة المغطاة بالمياه بين خزان أسوان والسد العالى. تم إنقاذه ونقله إلى جزيرة "إيجيليكيا" بجانب موقعه الأصلى. به عدة آثار من عصور الملوك نقتانيبو الأول (نختانيبو) وبطليموس الثانى والرابع والسادس والإمبراطور "اوغسطس" و"دقلديانوس" و"هادريان" وغيرهم. تم تكريس المعابد المختلفة لأكثر من رب وربة أسطورى مثل "إيست" و"بس" القزم و"إيم – حتب" (خطأ نطلق عليه "إيمحوتب") رب الطب الذى بجله اليونان وساووه بربهم الطبى الأسطورى "إيسكليبيوس"، ويوجد أيضا معبد "حوت – حر" (حتحور). نقشت على جدرانه العديد من المناظر لشخصيات مثل "إمن – رع"(أمون – رع) وموت زوجته فى الأسطورة و"ماعت" ربة العدالة والنظام والقانون والتوازن الكونى، و"سيخميت" التى كان يرمز إليها بأنثى الأسد وهى ربة الحرب والأسلحة والقوة والبأس والأوبئة.

٥ – دابـود: تم إنقاذه ما بين عامى ١٩٦٠ و١٩٦٣م، واشـترك فى بنائه الملك المروى النوبى "أديخاليمانى" مكرسا إياه للرب"إمن" (آمون) الشمسى الأسطورى. ثم جاء البطالمة وأضافوا إليه وغيروا به. يرجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد وكُرس أيضا فى وقتها لعبادة الربة "إيسـت". الإمبراطوران "أوغسـطس" و"تيبيريس" تركا نصوصهما منحوتة على جدران معبد دابود. تم إهداء المعبد للحكومة والشـعب الإسبانى وهو الآن فى مدينة مدريد. ومن الطريف أن الإسبان قد أخطأوا عندما أعادوا تشـييده فى مدريد بوضع الأصرح فى ترتيـب خاطىء وبقى الحال إلى يومنا هذا على هذا المنوال.

٦ – معبـد كرتاسـى: تم إنقاذه، وهو معبد شُـيد فى زمن الحكم الرومانى، وكان مكرسا لعبادة "حوت – حر" (حتحور).

٧ – دانـدور: تم فكـه فى عـام ١٩٦٣م وإنقاذه مـن مياه بحيرة ناصـر العظيمة. كُرس فى زمن الإمبراطور "أوغسـطس" لشـخصيتين مهمتين هما "بيتيسـى" و"بيهار" أولاد "كوبـير". تم إهداؤه لمتحف المتروبوليتـان بنيويـورك بالولايـات المتحدة الأمريكية شـكرا على مجهودات الأمريكيين فى إنقاذ معابد النوبة.

٨ – الـدَكـّة : تم تشـييده فى العصرين المـروى النوبى والبطلمى. وكان يطلق عليه قديما اسـم "بر–سيلكيت" أى "منزل الربة سيلكيت" وهى ربة السحر والتعاويذ الأسطورية.

٩ – معبـد وادى السـبوع: شيد فى عصر "رعمسيس الثانى" وأُطلق

عليــه حديثا هذا الاســم لوجود طريق يكتنفه صفــان من تماثيل لأبى الهــول. تم نقله على بعد حوالى أربعــة كيلومترات عن موقعه الأصلى لإنقاذه وهو فى حالة ممتازة من الحفظ.

١٠ – عَمَــده : تم نقله على بعد ٢,٥ كم مــن مكانه الأصلى. معبد مهم من الحجر الرملى شــيده الملك (دجحوتــى) مس الثالث"(ويطلق عليه خطــأ "تحتمس الثالث") و إمن – حتــب الثانى" (ويطلق عليه خطأ "أمونحوتب الثانى") ثم أضاف إليه قاعة بها عدد من أعمدة الملك "دجحوتى – مس – تحتمس الرابع". تم الكشف أيضا عن تمثال للملك "ميرينبتــاح" هنا، وهو الابن الثالث عشــر من أولاد الملك رعمســيس الثانى، وقد حكم مصر حوالى عشر سنوات إبان الأسرة التاسعة عشرة. عملية نقلــه كانت مذهلة وذلك لأن العُلماء والمهندســين الفرنســيين بالاشــتراك مع المصريــين نقلوا جزءا كبيرا ككتلــة واحدة تزن حوالى ٩٠٠ طن على عجل أعلى التل لكى يبعدوا بالمعبد عن المياه.

١١– معبد الـدِر : معبد للملك رعمسيس الثانى كرسه لعبادة الرب الأسطورى "رع–حر–آختى" على شــكل الصقر. يشبه معبد أبو سمبل على شكل مصغر ولكن بدون التماثيل العملاقة فى الواجهة. تحول هذا المعبد إلى كنيســة فى عصر المسيحية بالنوبة.هذا بجانب معابد وآثار كثيرة تم إنقاذها مثل "طافــة" و"عمدا" وبها "مقبرة" "بُنوت" ومعابد المحرقة، وجزء من "جرف حسين" و"أبى عودة" ومقصورة "الليسية" (موجــودة الآن فى إيطاليا)، مقاصير "أبريــم" التى تم إنقاذها فى عام ١٩٦٥م، وغيرها من الآثار المهمة.

طيـور حلقت فوق النيـل :

لأن الميـاه دائمـا ما تجذب الطيـور فقد أصبح نهـر النيل ووادیه وشـواطئه مرتعا لطيور جميلة، منها المسـتوطن ومنها المهاجر إليه. الأمثلة كثـيرة بداية من الطيور الضخمة مثـل النعام والذى عاش فى مصر فـى عصور قديمـة جدا وتم نقشـه ورسمه على جـدران المقابر مثل إخوانـه وأخواته من الطيور المختلفة، الصقر والحوام والنسـور بأنواعها، وهزاز الذيل والهدهد والغراب البلشون ومالك الحزين وأبو منجل وأبو قردان والبجع والفلامينجو والعقاب وأبو شارادار دوريعه والوز العراقى وأبو فروة وشـاهرامان وبط خضارى وزرقاوى أحمر وبط أحمر وكركاج والبلبل وسمارى وسمان وبالقاشـا وأبو مروحة (نوع من البـط) وحجال وفراخ (الدجاج) وغورنوق وحبارى وعصفـور كلب الميه ودجاج الميه والفرخة السلطانية وزقزاق وآكل المحار وشانقوب وكروان الميـه وميدروان وحاليبى وكـروان جبلى ونورس وخطاف البحر وأبو بلحـة وحمام برى وحمـام أزرق وتـورغول ووقـواق وقميحه وبعافه (بـوم النسـر) والبخـاخ وأم قويق (نوع مـن البوم الصغـير) وبومـه المـزرعة ورفراف وزرزور والكراكى والرخمه (نوع من النسـور) وأبو طيط وزقزاق ويمام البقع والوروار وأبو بليق وشحرور الصخر والسنونو الحدأة سوداء الجناح وبط كازاركا وذو الرأس البيضاء والغاق والكوكال.

النهر حديثا :

أقام الإنسان العديد من المشاريع الحديثة للاستفادة من مياه النيل، وتقنين حصة كل دولة من المياه بحيث لا تجور دولة على حق الأخرى. ولذلك يتم اجتماع دول الحوض والتى يمر بها النيل لكى يحددوا كميات المياه المستحقة وأحقية كل دولة لإقامة السدود والخزانات بدون التأثير السلبى فى الدول التى تليها. فى عام ١٩٩٠م جرت دراسة أثبتت أن حاجة مصر من المياه هو ٧٢ بليون متر مكعب ومتوسط إيراد مصر هو ٦٨ بليون متر مكعب. ويصل منسوب المياه فى بحيرة ناصر إلى فوق ١٧٠ مترا بقليل كمتوسط. وتمت دراسة قديما تثبت أن المياه تتدفق من دول المنبع وتجرى من أراض ومجار مرتفعة إلى أماكن أقل ارتفاعا مما يجعل المياه تنحدر من إثيوبيا مثلا إلى السودان إلى البحر المتوسط"

يوجد نهر مثير للغاية يخرج من أوغندا، وهو نهر صغير اسمه "نيل ألبرت" (لأنه يخرج من بحيرة ألبرت)، وعندما يبدأ هذا النهر فى الوصول إلى السودان يتغير اسمه إلى "بحر الجبل". مصدر العجب أن هذا النهر هو أنه يختفى بعد مسافة قليلة فى الأراضى السودانية ولا يكتمل جريانه والسر هنا هو أن المكان الذى يجرى فيه أقل ارتفاعا من المكان الذى يأتى منه، لهذا ولانعدام الانحدار فى هذا المنطقة يتوقف وينتهى هذا النهر. تفكر وتدرس أوغندا الآن إنشاء سد لإنتاج الكهرباء وليس للرى والزراعة وذلك لقلة وجود الكهرباء التى لا

يتمتع بها إلا ١٢٪ فقط من الشعب الأوغندى الصديق. أما إثيوبيا فقد بدأت فى عام ٢٠٠٢م فى بناء سد "تيكيزي". شمال السودان يتمتع بخزان وسد اسمه "سد مروى". وقد تم افتتاحه فى عام ٢٠٠٨م على بعد ٣٥٠ كم شمال الخرطوم. وإثيوبيا وسدها المسمى بسد النهضة مازال فى طور الإنشاء .

فى حضن النيل :

درس المصرى القديم جغرافية بلاده دراسة دقيقة ووجد أن منطقة "قنا" تتميز بأن نهر النيل ينحنى فى مجراه ويكون شكل شبه نصف دائرى متجها إلى جهة الشرق وكأنه يحتضن الأرض الموجودة على غرب هذه الانحناءة. ربما يكون هذا هو السبب الذى جعله يطلق على هذه المنطقة "قنى" أى الحضن (الذى يحتويه) ومنها جاءت كلمة "قنا"، وهو اسم المحافظة الجميلة الآن بصعيد مصر الأصيل.

ولادة نهر النيل فى سطور :

مر نهرنا العزيز بمراحل عديدة على مدار ملايين السنين .. نعم ملايين السنين لكى يأخذ شكله الذى نراه وندرسه الآن. هذه هى رحلة تكوين وتشكيل نهر النيل ... استعدوا لرحلة مليئة بالمفاجآت:

١ - توجد عدة ظواهر طبيعية ساعدت على تكوين وتغيير مسار وطول واتجاهات أفرع ومصبات نهر النيل قديما مثل الأمطار الغزيرة فى "العصر المطير"، والتى كانت تملأ أحواضا منفصلة عن بعضها بالمياه

فتكـون نهر ذو أحواض وبحيرات. كان هذا منذ حوالى ١٠ آلاف عام، وهو ما ساعد على تكوين شكل نهر النيل الحالى. ظاهرة طبيعية أخرى وهى الجبـال والتلال وتكوينها الجيولوجى والـذى يأخذ وقتا طويلا لكى تتكون (آلاف بل ملايين السـنين فى بعض الأحيان). فمثلا نجد أن الهضبة الاستوائية كانت عالية ودون بحيرات (الآن يوجد بحيرات كُثـر تمد أفرع النهـر الإفريقى بالمياه مثل بحـيرة فيكتوريا وألبرت وإدوارد وكيفـو وتوركانا وتنجانيقا ثم هناك بحيرة "تانا" التى يخرج منهـا النيل الأزرق فى إثيوبيا. ويؤكد لنـا العالم المصرى الجهبذ "د. رشدى سعيد" فى كتابه القيم : "نهر النيل .. نشأته واستخدام مياهه فى الماضى والمستقبل". دار الهلال، أن مياه الهضبة الاستوائية لم تكن تتجه عاليا تجاه الشـمال إلى السـودان ومصر كما هو الحال الآن وذلك لعدم وجود مسار ومجرى أرضى للمياه لكى تجرى، يقول: "كان معظم تصريـف مياهها يتجه إلى المحيط الهندى وأقله إلى حوض النيل الذى كانـت تملأ معظمه بحـيرة هائلة" ويؤكد أيضا أنـه: "كانت الهضبة الاسـتوائية عالية ودون بحيرات وكان تصريف المياه فيها يتجه شرقا إلى المحيـط الهندى وغربـا إلى حوض الكونغو". لكـن ومنذ حوالى ٦ ملايين عام تكون مجرى إفريقى كبير مما أدى إلى تشـكيل نهر النيل بشكل يقارب ما نعرفه الآن. ولكن يجب علينا أن نتذكر أن فى جنوب مصر والنوبة العظيمة كانت هناك هضبة النوبة التى كانت تمنع وصول مياه البحيرات التى تكونت إلى مصر بأكملها، وهو ما حدث فيما بعد.

٢ – وصل عمق البحر المتوسط عندما جف منذ حوالى ستة ملايين عام إلى ثلاثة أو أربعة كيلو مترات. تخيلوا معى البحر المتوسط كان فى وقت من الأوقات صحراء جافة.

٣ – تم اتصال نهر النيل المصرى بإفريقيا وبحيراتها منذ حوالى ٨٠٠ ألف سنة.

٤ – توقف النهر القديم منذ حوالى ٤٠٠ ألف سنة، وجاء نهر أقل وهو ما أسماه د. رشدى سعيد: "النيل الحديث". وهو شكل النهر الذى يشبه إلى حد كبير شكله الآن ولكنه لم يكن على صلة مائية بإفريقيا طوال الوقت. فتارة يتصل بمصادر ومنابع مياه وتارة لا يحدث هذا الاتصال.

٥ – استمرت أنهار مصر تعطى المياه فى أوقات وتجف فى فترات أخرى. وكان لتراجع ثلوج العصر الجليدى منذ حوالى ١٠ آلاف سنة، كثرة الأمطار على مصادر النيل فزادت المياه فى بحيرتى فيكتوريا وألبرت حتى اتصلت لأول مرة بنهر النيل. ويفاجئنا د. رشدى سعيد بإحصائيته التى تؤكد أن نهر النيل الحديث ذو الجريان المستديم حدث أن وُلد وتشكل منذ حوالى ١٢ ألف سنة. وهو نهر صغير السن جدا لو قورن بأنهار أخرى.

٦ – كان لنهر النيل مجرى غطاه البحر المتوسط. نفس الشئ يحدث لنهر الأمازون والذى يجرى لمسافة طويلة فى المحيط.

٧ – على الرغم من أن الدراسات الحديثة فى أوائل القرن الحادى

والعشرين أكدت أن نهر الأمازون أطول بقليل من نهر النيل إلا أن علينا أن نتذكر الدراسة المصرية التى قام بها د. رشدى سعيد أكدت أن نهر النيل كان يصل طوله إلى ٦٨٢٥ كم وكان يصرف ٨٤ بليون م٣ فى العام، فى حين أن نهر الأمازون كان ٦٧٠٠ كم ويصرف مياه تقدر بـ ٥٥١٨ بليون م٣ فى العام.

من هو شاعر النيل؟

شاعر النيل هو لقب أطلق على جهبذ الشعر المصرى والعربى الشاعر حافظ إبراهيم . وقد كتب عنه بالتفصيل وعن شعره الوطنى الذى نظمه فى قصائده التى جادت بها قريحته ، عبد الرحمن الرافعى (ولد فى ٨ من فبراير سنة ١٨٨٩م وتوفى فى ٣ من ديسمبر سنة ١٩٦٦م) فى كتابه "شعراء الوطنية فى مصر – دار المعارف" . ولد حافظ إبراهيم فى عام ١٨٧٢م وتوفى فى عام ١٩٣٢م فى ديروط حيث كان والده يشرف على القناطر. وقد بدأت تظهر بوادر موهبته فى كتابة الشعر وهو فى السادسة عشرة من عمره ، والعجيب أنه لم يتعلمه من أحد. ولقد لاحظت أن نهر النيل قاسم مشترك فى العديد من أشعاره ، بل لقد أخذ من سمات النيل ونعت بها شخصيات وطنية مثلما فعل بمصطفى كامل فى قصيدة رثاء لمحمد فريد فى ديسمبر ١٩١٩م عندما كتب يقول: قل لصب النيل إن لاقيته فى جوار الدائم الفرد الصمد، إن مصرا لا تنى عن قصدها رغم ما تلقى و إن طال الأمد، جئت عنها أحمل البشرى إلى أول البانيين فى هذا البلد، فاسترح واهنأ ونم فى غِبطةٍ قد بذرت

الحب والشعب حصد، وقد كان يعنى ب "صب النيل" فى البيت الأول الزعيم المكافح مصطفى كامل. كان حافظ إبراهيم شاعرا مفوها جريئا ، يواكب الأحداث الجثام ، ولقد سبق أحمد شوقى بعام فى نظم قصيدة عن حادثة دنشواى البائسة وبعد صدور الحكم الجائر الظالم بخمسة أيام فقط مما يؤكد مواكبته للحدث الجلل الذى سُطر فى تاريخ مصر بمداد من دم المصريين.

فى القصيدة وجه كلامه بالسهام الناقدة الغاضبة إلى المدعى العمومى فى القضية قائلا ورابطا بنهر النيل : "لا جرى النيل فى نواحيك يا مصرُ جادكِ الحيا حيث جادا، أنت أنبت ناعِقا قام بالأمس فأدمى القلوب والأكباد ". وتظهر فى هذه الأبيات العقوبة التى يسردها شاعر النيل وهى عدم جريان نهر النيل فى أرض الكنانة.

وفى أحد إبداعاته والتى وصفها عبد الرحمن الرافعى بأنها "من أبلغ روائع الشعر العربى " كتب ابن النيل قصيدة فى الذكرى الأولى لوفاة مصطفى كامل فى ١١ فبراير سنة ١٩٠٩م وألقاها عند قبر الزعيم المكافح وفيها وصف الزعيم بأنه "فتى النيل" : الله أكبرهذا الوجه أعرفه هذا فتى النيل هذا المُفرد العَلَم، غضوا العيون وحيوه تحيته من القلوب إذا لم تُسعِد الكلم، وأقسِموا أن تذودوا عن مبادئه فنحن فى موقف يحلو به القسم القلم.

وكان للمرأة و نشاطها السياسى التحررى ضد الاستعمار فى مظاهرة السيدات اللاتى قمن بها فى يوم ١٦ مارس ١٩١٩م مكان فى

شعر شاعر النيل عندما كتب: إليكن يهدى النيل ألف تحية معطرة فى أسطر عطرات ويثنى على أعمالكن موكلى بإطراء أهل البر و الحسنات وكان يقصد ب "موكلى" هنا نهر النيل الذى تخيل حافظ إبراهيم هنا أنه أنابه فى توصيل إطرائه ومدحه إليهن.

نشيد النيل:

للشاعر أحمد شوقى (توفى فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢م) نشيد أطلق عليه نشيد النيل والذى أنادى أن يتم تدريسه فى مدارسنا وجامعاتنا لكى نرجع هيبة واحترام نهر النيل فى أوساط مجتمعاتنا الشبابية. يقول أحمد شوقى: النيل العذب هو الكوثر، والجنة شاطئه، الأخضر ريان الصفحة والمنظر، ما أبهى الخلد وما أنضر. وفى جزء آخر للنشيد كتب شوقى: جار ويرى ليس بجار، لأناة فيه ووقارِ، يَنصَبُ كتل منهار، ويَضِجُ فتحسَبه يزأر حَبَشىُ اللون كجيرته من منبعه وبحيرته صبغ الشطين بسمرته لونا كالمسك و كالعنبر.

شيخ الشعراء ونهر النيل:

شيخ الشعراء هو لقب أطلق على الشاعر الجهبذ إسماعيل صبرى (ولد سنة ١٨٥٤م وتوفى فى يوم ٢١ مارس سنة ١٩٢٣م) . وقد أطل هذا الشاعر الكبير على نهرنا التليد من نافذة مختلفة وزاوية أخرى. فقد ربط بين النيل والنشاط البشرى للمصريين مؤكدا عبر شعره أن المصرى الذى لن يعمل أو الفرد الذى يؤثر الكسل وعدم العمل والإنجاز فلن

يكــون له الحق فى ماءه المتميز بل لن يكون له حتى شــرف الاقتراب منه. لا تقربوا النيل إن لم تعملوا عملاً فماؤه العذب لم يخلق لكسلان ، ردوا المجّرة كداً دون مورده أو فاطلبوا غيره رياً لظمآن.

روضة النيل وشاعر السيف والقلم:

ولد محمود سامى البارودى (نسبة إلى إيتاى البارود الذى كان جده ملتزمــا لها) فى عام ١٨٤٠م وتوفى فى عام ١٩٠٤م. أبدع البارودى فى شعر الحنين إلى الوطن ونظم الشعر وهو فى منفاه متمنياً العودة إلى مصر من منفاه قى سرنديب (جزيرة سيلان) والذى استمر حوالى سبعة عشر عامــا ونيف . وصف مصر فى أحد الأبيات المؤثرة بروضة النيل، كتب يقول: ياروضة النيل لاَمستك بائقة ولاعدتك سماء ذات إغداق (البائقة هى الداهية والبلية ولاعدتك أى لا تجاوزتك كما شرح لنا عبدالرحمن الرافعــى). وما أروع البارودى وهو يصــف أرض الكنانة قائلا: مرعى جيــادى ومــأوى جيرتــى و حِمى قومــى ومنبــت آدابــى و أعراقى.

أحمد محرم وإهداء النيل:

أحمد محرم يعتبر من الشعراء الكبار وقد وُلد فى عام ١٨٧١م وتوفى فى ١٣ يونية ســنة ١٩٤٥م. ومن فرط حبه لنهــر النيل ، أهدى محرم الجزء الأول من ديوانه ســنة ١٩٠٨م إلى نهر النيل قائلا : وهبتك ملك القريض العتيد وذلك أفضل ما يوهبُ (والقريض هو الشعر وقرض الرجل الشعر أى قاله. مختار الصحاح – الرازى – مكتبة لبنان ناشرون).

ولم يُـرِد أحمد محرم أن يهـدى ديوانه إلا لنهر النيل الذى وصفه بـالأب قائـلا : فيا نيل أنت الهوى والحياة وأنـت الأمير و أنت الأب ويـا نيل أنت الصديق الوفى وأنت الأخ الأصدق الأطيب. ويواصل محرم تدفقه فى الثناء على النيل وتقريظه قائلا : لئن فاتنى الذهب المستفاض فما فاتنـى الأدب المذهب وهبتك ملك القريـض العتيد وذلك أفضل ما يوهب.

البدوى و نيل الوحدة:

الشـاعر البـدوى المبدع محمد عبـد المطلب الذى وُلـد فى ١٨٧٠م بمديريـة جرجا فى بلدة "باصونة" وتوفى فى ١٩٣١م نظم من الشـعر الوطنـى الكثير يؤرخ فيه ثورة ١٩١٩م ويذكـر بحضارة مصر قائلا : إذا جهلـوا "مينا" و "خوفو" و "كفرعا" فليس "برمسـيس" على ملكه نُكـر وإن أنكروا مُلك ابن يعقوب بيننا فموسـى على ما أنكروا شـاهد . (كفرعـا : ربما يكون قد قصد الشـاعر هنا اسـم الملـك "خع إف رع" أو "خفرع" صاحب الهـرم الثانى بهضبة الأهرام بالجيزة). ولقد ذكر محمد عبد المطلب نهر النيل فى شـعره عن الوحدة بين عنصرى الأمة قائلا :

فيا عيد أهل النيل عِد أهلك المنى
تجلى منار الحق وانبلج الفجر
وصافح بشعبيك السعادة مُقبلا
بمصر على الأفراح ولتقل شعرا

تمثال النيل بمتحف الفاتيكان:

دولة مدينة الفاتيكان والتى تصل مساحتها إلى ٤٤,٠كم مربع وبها متحف تم تأسيسه فى عام ١٥٠٦ ميلادية وهو عبارة عن مجموعة من المتاحف . وبهذه المجموعة يوجد تمثال مشهور منحوت يمثل الرب الأسطورى نيلوس على هيئة رجل قوى وذو عضلات مفتولة، وهذا الرجل هنا يمثل النيل فى يده اليمنى يمسك نيلوس بسنابل القمح أى الخبز وهو من ضروريات الحياة اليومية بل إن الثورات تندلع عندما يشح وجوده أو يقل عدده أو يصعب الحصول عليه وفى اليد الأخرى يمسك الرجل المضطجع ما يسمى "قرن الخيرات" ويرمز عند الرومانيين بالرخاء والكثرة ويكون مملوءا بالفواكه مثل العنب أما عن الستة عشر طفلا الذين يرتبطون بنيلوس فى التمثال فهم يرمزون إلى الستة عشرة ذراعا التى إذا وصلت مياه الفيضان إليها كان المصرى يعتبر أن النيل وفى (الذراع يساوى ٥٢ سم) وبالتالى يكون الرمز النيلى هنا هو رمز الفيضان. ولو لم يصل المنسوب إلى الرقم المطلوب يؤدى (وهو ماحدث بالفعل) إلى جفاف وجدب وموت للمحاصيل ووفاة للبشر ويعم الطاعون والفوضى والموت كما حدث فى الشدة المستنصرية والتى يشيب لتفاصيلها القاسية مفارق الغلمان ويعتقد الدكتور أبو اليسر فرح أن بداية ظهور رب النيل الأسطورى ومعه الستة عشر طفلا فى عهد الإمبراطور "فيسباسيان" الذى حكم الإمبراطورية الرومانية من عام ٦٩ إلى عام ٧٩ ميلادية.

الملك والسمكة:

منذ حـوالى ٣٠٠٠ آلاف عام قبل الميلاد اختار ملك التوحيد والذى اشترك فى الحادثة السياسية الأهم فى تاريخ مصر العتيق الملك "نعرمر" (نسميه خطأ بـ "نارمر") حيث أصبحت مصر تحت قيادته بلدا واحدا وليـس قطرين شمالى وجنوبى كما كان قبـل توحيد الملك للقطرين وبدأ أول حكم مركزى ونظام سياسـى واسـع التأثير وعريض الآفاق اختار سمكة القرموط ذات الشـوارب لتكون أول مقطع من اسمه "نعر" والذى تم نحته بوضوح داخل "السـيرخ" (منظر واجهـة القصر الملكى) والذى احتل أعلـى صلاية الملك "نعر – مر" الموجـودة الآن بالمتحف المصرى ومعـروف عن سمكة القرموط أنها تسـتطيع التنفس خـارج المياه لمدة سـاعات بدون أن تموت و أنها أيضا تحـارب الأسماك الأخرى ويصل طولها إلى متر واحد وهى فى الأسـر، الجغرافى القديم "سترابو" (من ٦٤ قبل الميلاد حتى ٢٤ ميلادية) كتب عن هذه السـمكة الشرسة أنها كانت تخيف حتى التماسيح وفى بحثها تيقنت "روزاليند بارك" التى قرأت فى تاريـخ الطب أن نوع القرموط الذى اختاره الملك ليكون جزءا مـن اسمه هو النوع الـذى يسـمى Heterobranchus" والمعروفة فى إفريقيا حديثا باسم "سمكة فوندو"Vundu fish".

متخصصوا علم أحياء السـمك يزعمون أن لهذه السمكة صفة غريبة ألا وهى إنها "تعطى صدمة كهربائية بسيطة" هذا القرموط الكهربائى يصل بطوله إلى ١٢٠ سـم ويزن أكثر من عشـرين كيلوجراما. أما لو تم

مهاجمتها فهى قادرة على إفراز صدمة كهربائية تصل ما بين ١٠٠ إلى ٤٥٠ فولت فى قوتها. ودعونا نتخيل هذه الصدمة الكهربائية التى شعر بها الصيادون والسباحون فى مصر القديمة تم نحت مناظر عديدة على جدران المقابر لأنواع متباينة لهذه السمكة النيلية المتفردة وخصوصا على جدران مصاطب (مقابر على شكل المصطبة) سقارة بالجيزة مثل مقبرة "كاجمنى" و "تى" وتحاول "روزالينـد" أن تربط بين خاصية النشاط الليلى للقرموط عندما تبدأ نشاطها فى تناول غذائها بشراسة بعد الغروب , وبين الأوقات الخطرة المذكورة فى أسطورة الرب "وسير" (أوزوريس) الأسطورى والذى فقد عضوا من أعضاء جسده فى نهر النيل لتلتهمها سمكة القرموط طبقا للأسطورة التى قالت إن أخوه الغيور "ست" قتله وقطع جسد أخيه إلى عدد من الأجزاء و ألقاها فى مناطق مختلفة . الأسطورة أكدت أن هذا العضو الذى التهمته سمكة القرموط لم يتم استرجاعه عندما جمعت "إيست" (إيزيس) الزوجة الوفية أعضاء جسد زوجها المقتول.

وقد كان لسمكة القرموط استخدامات طبية علاجية فلقد تم ترجمة روشتة طبية تسمى "إيبرس" وبها علاج مصرى قديم لمرض الصداع النصفى أو المايجرين والذى أطلق عليه المصرى القديم اسم "جس – نب" بالكتابة المصرية القديمة والتى تعنى حرفيا "نصف رأس". تقول هذه الفقرة من برديـة إيبرس" علاج آخر للمايجريـن (الصداع النصفى): جمجمـة سمكـة القرموط مقلية فـى زيت" وتم ترجمة هـذه العبارة

بطريقة مختلفة عن طريق الباحثة "روزاليند بارك" هكذا : "رأس سمكة "نعر" التى تسبب القلى. بمعنى أن السمكة كانت توضع على رأس المريض الذى يعانى من الصداع النصفى حيث يتم علاجه عن طريق الصدمه والصاعقه الكهربائية.وهى تقول إن العلاج بالصدمة الكهربائية عن طريق سمكة ال "نعر" كان أيضا لعلاج النقرس بإصبع القدم . والسؤال يبقى ليحير العلماء والمهتمين هل لكل هذه الأسباب وغيرها تم اختيار هذه السمكة النيلية العجيبة من قبل واحد من أهم ملوك التاريخ "نعر – مر" ؟ ما أعظمك يا نيل , سبحان الخالق.

منظر نيلى بديع:

من أجمل مناظر صيد السمك بنهر النيل هو المنظر الذى تم رسم جزء منه فى حين الجزء الآخر تم نحته وفى مقبرة المدعو "مونتو – إم – حت" وهو محافظ أو عمدة طيبة القديمة (الأقصر الآن) وكان أيضا يشغل منصب فى المعبد ككاهن رابع ل "إمن" (آمون) هذه الأجزاء الفنية البديعة والتى حافظت على ألوانها ومناظرها وكأنها قد تم نحتها البارحة هى الآن معروضة فى متحف المعهد الشرقى بجامعة شيكاغو بولاية إلينوى بالولايات المتحدة الأمريكية . وهذا شىء يدعو للأسف من وجهة نظر المؤلف لهذا الكتاب و أطالب بعودة هذه الآثار المهمة إلى موطنها مِصر أرض الكنانة يرجع تاريخ هذه المناظر النيلية الفائقة الجمال والروعة والتى تظهر فيها سمات الفن والنحت والتلوين فى وقتها إلى زمن الأسرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين

حوالى ٦٥٦ قبل الميلاد هذه المناظر الجدارية الملونة من الحجر الجيرى وبعضهـا يصل ارتفاعه إلى ١٠١,٦ سـم. يوجد منظر بديع لعملية صيد سمك نيلى عن طريق شبكة، الشبكة تظهر وهى مليئة بأسماك مختلفة منها سمكة البغبغاء واسمها العلمى Petrocephalus وسمكة الشبوط اسمها البنى واثنتان من سمك القرمـوط وسمكة البورى وكعادة الفنان المصرى القديم والذى كان يتميز بروح المرح والدعابة رسم الفنان صورة سمكة نيلية تشبه سمكة البورى وهى تختبىء خلف وردة نيلية تسمى اللوتـس. وبذلك فالفنـان العبقرى لا يضيـف روح المغامرة والمخاطرة والـذكاء والمكر علـى المنظر المائى الجميل ولكنه أيضا يكسـر بهذا أى ملل من جراء تكرار مناظر صيد السـمك فى المقابر فيضع شيئا مختلفا ومغايـرا للمعتاد مما يلفت الأنظار ويجعل الناظر فى حالة إفاقة. وبما أن هذه المقابر لم تكن قد شيدت لزيارات السائحين بل للمتوفى وأسرته فقط فهذا المنظر لهذه السـمكة الذكية يكون مـن ابتكار الفنان والفنان يبـدع ويغـير ويبتكر وهو يعلم أنه ربما لن يرى هـذا الفن العديد من أفراد الشعب ولكن ولغرض شخصى ولإبداع فنى هو قد أحب فعل هذا.

عقد زواج على نبات نيلى:

نبات البردى والذى يصل إلى ارتفاع خمسـة أمتار تقريبا هو نبات مفيـد جدا للمصـرى القديم . وقد صنـع منه المصرى القديـم اللفائف الورقيـة التى سـجل عليهـا النصـوص الدينية والعقود والنشـاطات

الاجتماعية والاقتصادية بل ورسم عليه الخرائط الجغرافية مثل بردية تورين الشهيرة والتى تم رسم خريطة مفصلة عليها وهى الآن بمتحف تورين الإيطالى ويطالب المؤلف باستردادها. وفى متحف المعهد الشرقى بجامعة شيكاغو توجد بردية يصل طولها إلى ٢٣٠ سم وعرضها إلى ٣٧سم ويرجع زمن هذه البردية المهمة إلى الأسرة الثلاثين أى العصر الذى أطلق عليه العلماء والمؤرخون : العصر المتأخر . وقد أرخ علماء المصريات تاريخ هذا النص المكتوب على البردية بأنه يرجع إلى العام السابع عشر من حكم الملك المصرى "نيقتانبو الأول" وهو عام ٣٦٥ إلى ٣٦٤ قبل الميلاد، بل وصلت دقة الترجمة من النص الأصلى المؤرخ إلى درجة معرفة الشهر أيضا وهو شهر ديسمبر! الوثيقة مصنوعة من اثنتى عشرة صفحة متصلة ببعضها البعض. الكتابة التى استخدمها موثق هذا العقد هى طريقة الكتابة المصرية القديمة التى أطلق عليها الخط الديموطيقى (كتابة العامة والشعب) وهو نوع من الكتابة بدأ المصرى فى استخدامه منذ حوالى ٦٠٠ عام قبل الميلاد واستمر فى استخدامه حتى حوالى عام ٤٥٠ بعد الميلاد تُقرأ السطور المكتوبة من الاتجاه اليمين متجها إلى اليسار. النص يؤكد فى فحواه أنه عقد مبرم بين رجل وزوجته (اسمها"بست") مبينا حقوقها فى حالة الانفصال (كان الطلاق مجازا فى مصر القديمة) وحقوق الأطفال الذين من الممكن أن تلدهم له كزوجة. ومن المعروف أن الحضارة المصرية القديمة كانت تحترم المرأة وتعطيها الحق فى الميراث وكان لها أهلية وملكية

المتلكات بعيدا عن سطوة الزوج أو تحكمه أما فى حالة الطلاق كانت من الضمانات الاجتماعية المكفولة للمرأة كمية من الحبوب والفضة لاستخدامها السنوى وملابس فى أى مكان للمعيشة تفضله الزوجة المطلقة وهو احترام لحقوق المطلقة على أعلى مستوى من الأداء القانونى والرقة والاحترام فى التعامل مع المرأة وكان من حق الطرفين الزواج مرة أخرى بعد الطلاق وكان يُنظر للطلاق بقليل من الخجل. على ظهر هذه البردية تم كتابة قائمة بأسماء الشهود على هذا العقد وبعضهم ذكر أيضا وظيفته أو مهنة والده مثل "الكاتب" و"نائب سبك" (سوبك هو الرب التمساح الأسطورى) و"الأب الروحى" ومن المهم أن نتذكر أن هناك عبارة فى هذه البردية غاية فى الأهمية , ألا وهى أن أى تغير فى نص هذه البردية عن طريق الزوجة أو شاهد من الشهود يجب أن يحدث فقط ".....فى المبنى الذى فيه القضاة" (أى بيت القضاة أو المحكمة).

ورود ونباتات و أعشاب علاجية:

مياه نهر النيل الوفيرة والأبيار والعيون والواحات والبحيرات والترع والمصارف المائية لعبت دورا حيويا فى الحياة اليومية المصرية القديمة. فبجانب اللوتس بنوعيه الأبيض والأزرق والبردى وجدنا عددا كبيرا من الورود والنباتات التى رسمها ونحت مناظرها المصرى القديم. وفى مقبرة نخت بطيبة المتخصصة فى الورود منظر لباقة ورد عملاقة. وكان هناك باقات على شكل علامة "عنخ" وهى كلمة تعنى

الحيـــاة والكينونة. وقد وثقت الباحثـــة Lise Manniche وهى عالمة مصريات عددا كبيرا من هبات وهدايا الملك رعمسيس الثالث (حكم من ســنة ١١٩٦ إلى ســنة ١١٩٨ قبل الميلاد) على شكل باقات من الورود. ومن هذه الورود مجموعة أهداها إلى معبد إمن (آمون) خلال مدة زمنية وصلــت إلى ١٠٥٧ يوم. والعدد المذكور هــو ٨٠٠ , ٩٧٥ , ١ باقة (وهو رقم قريب من المليونان) وعدد ١ باقة لمعبد رع خلال ٢٣ عاما، و باقة لمعبد بتح (بتاح) خلال مدة ٣ سنوات. وهناك فى القائمة المزيد والمزيد من الهبات الوردية.

زيارة لم تتم:

وسائل المواصلات النيلية كانت منتشرة ومعروفة فى مصر القديمة وكان نقل البضائع والبشر والاحتفالات فى الأعياد يجعله يعُج بالأعداد غــير القليلة مــن القوارب. وكان يتم نقل تماثيل و مســلات و أحجار المعابد عبر النيل ولمسافات بعيدة . فمثلا من أماكن المحاجر الجرانيتية فى أســوان إلى الأقصر بل وأبعد من ذلك من أجل وضع التمثال أو المسلة فــى المعبد ولكن هناك فى تاريخنا التليد زيارتين لم تتما. مســلتان لم يصلا إلى مكانهما المخطط له. دعونى أسرد لكما قصتهما.

المسلة الأولى:

يطلــق عليها الآن "المســلة الناقصة" وهى قابعة غــير منفصلة عن المحجر الموجود فى البر الشــرقى الشمالى لأسوان إلا من ثلاثة جوانب

أمـا الرابع فهو مازال متصلا بأرض الحجـر الجرانيتى. ولأن المصرى القديـم كان قد قرر أن لا يكمل مشـروع المسـلة بعدمـا ظهرت بعض التشـققات فى الحجر انراد نحته على هيئة مسـلة فلم يتم نحت أى أسماء ملكية أو نصوص تساعدنا على معرفة زمن هذه المحاولة الجريئة كانت المحاولة طموحة فطول المسلة الناقصة كان ٤١,٧٥ مترا. لو كانت قـد اكتملت لكان وصل وزنها إلى ١١٦٨ طنـا إنجليزيا. يعتقد البعض أنها ربما ترجع إلى عصر الأسرة الثامنة عشر أو الأسرة التاسعة عشر. وبرغم محاولة العمـال المصريين القدماء لإنقاذ الموقف بتقليل الارتفاع إلى٣٢,١ متر والوزن ل ٥٠٧ طن لتفادى التشـققات التى ظهرت خلال العمل إلا إنه من الواضح أن القرار النهائى كان هو هجران هذا المشروع والبعـد عنه وعـدم تكملته وبالتـالى لم يتم فصل المسـلة عن المحجر بالكامل ولم تكتمل الرحلة النيلية ولم تزر المسـلة صفحات نهر النيل الكريم الذى كان سـوف يحملها على صفحاتـه الرقيقة القوية المتينة بسعادة وفرحة حتى تسليمها إلى المعبد.

المسلة الثانية:

مسـلة ناقصة أخرى ولكن هذه المرة هـى موجودة فى البر الغربى لأسـوان منحوتة من الحجر الرملى وتم نقش مناظر بديعة عليها قبل نقلها يوجد حتى الآن مناظر واضحة للملك سيتى الأول (حوالى ١٢٨٢ قبل الميلاد) القمة الهرمية للمسلة بها نقوش غاية فى الجمال ومنحوتة بمهارة منقطعة النظير للملك وهو يقدم البخور للرب الشمسى الأسطورى

"رع – حر – آختى" والذى يظهر على هيئة رجل جالس ذو رأس صقر يعلو رأسه قرص الشمس. اسم ولقب الملك منحوتان أكثر من مرة . المسلة الآن موجـــودة غير بعيدة عن مقابر النبلاء بقبة الهوا بغرب أســـوان.

إنقاذ نهر النيل:

فيما يلى بعض مقترحاتى لإنقاذ هذا النهر الذي يمثل لنا شـــريان الحياة وتدفق الخير وهو هبة من الله ســـبحانه وتعالى ويجب علينا أن نحافظ عليه قبل فوات الأوان:

١ – استحداث وزارة جديدة يُطلق عليها وزارة نهر النيل منفصلة عن الموارد المائية والرى ولكن تعمل بالتنسيق مع كل الوزارات الأخرى ايضا مثل السياحة والآثار والاقتصاد وغيرها لأن كل هذه الوزارات لها علاقة ببعضها البعض.

٢ – تغليـــظ العقوبة على مـــن يلوث النيل أو يلقـــى بالمخلفات فى مجرى النهر أو على ضفافه سواء أكان أفراد أو مصانع أو غيرها.

٣ – تفعيل قوانين منع ردم النيل وعمل أراضى إصطناعية فيه.

٤ – تنظيـــم آلية للتعاون بـــين وزارة نهر النيل ووزارة الآثار لبدء عملية إنقاذ وانتشال الآثار الغارقة والقابعة فى قاع النهر. من المعروف أن المصـــرى القديم كان يســـتخدم نهـــر النيل لنقل التماثيل والمســـلات والأحجـــار من المحاجر وغيرها إلى المعابد وبالتالى فمن الممكن أن يكون قد حدثت حوادث غرق لهذه المراكب على مدار آلاف السنين وخصوصا فـــى الأماكن التى تتصف بشـــدة التيـــار المائى والدوامـــات فى النهر.

٥ – تغيير نوعيات الوقود والمواد السائلة التى تستخدمها المراكب التى تبحر بالماكينات والموتورات والفنادق العائمة بحيث لا تلوث مياه النيل ولا الجو والبيئة من جرّاء الدخان والعادم المنبعث منها.

٦ – تثقيف الشعب المصرى وتوعية المواطنين بأهمية المياه عن طريق وسائل الإعلام المرئية والمقروئة والمسموعة. وتكون التوعية بطريقة بسيطة وجذابة وسهلة الوصول إلى الناس والبعد عن المبالغة والسخرية السلبية.

٧ – عمل عدد من الأفلام التسجيلية الراقية لتعريف الشعب بالنهر من الناحية الجغرافية والتاريخية , ويشترك فى كتابة المادة العلمية للأفلام عدد من علمائنا الأجلاء وتكون لغتها سهلة ومفهومة.

٨– يتم تدريس مادة فى المدارس منذ سن السابعة اسمها مادة "نهر النيل".

٩ – استغلال الجزر النيلية سياحيا ولكن بدون الإضرار بالبيئة أو نظافتها.

١٠ – استحداث نوع جديد من السياحة اسمه "سياحة الجزر النيلية" حيث يتم تجهيز عدد من الجزر بالفنادق الصديقة للبيئة وتتماشى مبانيها مع المكان وروحه. ويتم تسويق هذه الرحلات فى الخارج.

١١ – متابعة ملف نهر النيل والمشاكل الناجمة عن تشييد السدود والخزانات فى البلاد المختلفة التى يمر فيها.

١٢ – دراسة قضية الأمن المائى من كل زواياها بحيث يكون طرح الحلول مقبول لدى جميع الأطراف، وهى مهمة ليست سهلة.

١٣ – تجذير روح التعاون بين دول الحوض بعقد اتفاقيات سلام وإخاء وتفعيلها على أرض الواقع.

١٤ – الحفاظ على حصة مصر من المياه حسب الاتفاقيات والنظر بعين الاعتبار لحصص دول الحوض الأخرى الشقيقة.

١٥ – شق المزيد من الترع والمصارف لتوسيع رقعة الأراضى المراد ريها وخصوصا فى الأراضى المراد تخضيرها أو استصلاحها.

١٦ – تشجيع الشباب بإعطائهم أراض بأسعار رخيصة جدا فى الصحراء المتاخمة لوادى النيل وشبه جزيرة سيناء وكل الأماكن التى من الممكن توصيل المياه إليها . ويكون التشجيع ليس فقط بإعطاء هذه الرقع من الأراضى فحسب ولكن أيضا بتوصيل مياه النهر لها.

١٧ – عمل حوارات مستمرة بين دول حوض نهر النيل تنطلق من قاعدة دبلوماسية بأفكار جديدة بعيدا عن التعصب أو الجمود من جانب أى طرف.

١٨ – تدشين حملة يكون المشرف عليها الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف لتوعية الناس بأهمية الحفاظ على المياه وعدم التبذير بإلقاء الخطب من على منابر المساجد فى أيام الجمعة وغيرها من أيام الأسبوع، إقامة الندوات بقاعات المحاضرات والمؤتمرات بالمسارح التابعة للمنظومتان ويكون حضورها مجانا. وأقترح

أن يكـون شـعار الحملة هـو الآية الكريمـة من كتاب الله سـبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.

١٩ – إشراك الشعب المصرى فى حل مشاكل النيل بتشجيعه لتقديم محاضرات إيجابية مفيدة.

٢٠ – عمل مسابقة سنوية لأجمل أرض زراعية وأحسن استخداء للمياه النيلية.

٢١ – العمـل على إعادة الأتوبيس النهرى بأعداد كبيرة وشـبكة مواصلات مائية كبيرة ومنظمة كوسـيلة لحل مشكلة المواصلات المزمنة , وكطريقة لخلق فرص عمل جديدة.

٢٢ – تنظيم عملية صيد الأسماك النيلية من حيث المواعيد والكميات والأحجام.

٢٣ – محاولة تقليل نسـبة الفاقد والمتبخر والمتسرب والمصبوب من مياه النيل لكى نستطيع الاستفادة بكل نقطة مياه.

٢٤ – وضـع ضوابط بشـأن المراكب التجارية التـى يرتادها محبو الرحـلات النيلية من الناحية الأخلاقية , وشـكل القـارب والزينات والإضاءة والمعلقات الخاصة بها. والكشف الدورى عليها من حيث الأمان والمواتـير التى يجب أن تكون صديقة للبيئـة . ويجب أن تكون هناك رقابة على الموسيقى وكلماتها ووقف المسف منها وإيقاف القوارب التى يُمـارس فيها الرقص والتحرش والابتذال. وبذلك لا يكون هناك تلوث سمعى وبصرى وبيئى وانفلات أخلاقى على صفحات نهر النيل العظيم.

٢٥ – تشجيع زراعة القطن ووضعه فى مكانه الطبيعى على قمة هرم المنتجات النباتية المصرية وغزو العالم مرة أخرى به ولن يكون هذا صعبا لأن له سمعة رنانة.

٢٦ – توضيح الرؤية المستقبلية ووضع أسس للتعامل مع مشكلة العجز المائى الذى يهدد العالم كله وبالتالى أرض الكنانة.

٢٧ – العمل بكد لعودة مصر إلى موقعها وترتيبها الطبيعى على قمة الهرم الإفريقى , وعودة العلاقات الدافئة بين مصر وإفريقيا.

الاستفادة من بحيرة ناصر :

بحيرة ناصر هى ثانى أكبر بحيرات العالم الاصطناعية حيث يصل عرضها إلى ١٢كم وعمقها إلى ٦٠ قدما وتخزن حوالى ١٦٤ مليار متر مكعب من المياه الغنية بالطمى. تصل شواطئ البحيرة بطولها إلى ٧ آلاف كم. أما عن الخلجان الصغيرة فهى تصل بعددها إلى ١٠٠ خليج تهدأ فيها حركة المياه حيث يعيش أعداد كبيرة من الأسماك مثل البلطى النيلى[١] وقشر البياض والشبار والشيلان والراية والشلبانية والساموس[٢]. يحذر – طبقا لقانون موضوع لحماية السمك وعدده – الصيد من ١٥ أبريل وحتى ١٥ مايو. أما عن آخر إحصائية تحصى

(١) يمثل حوالى ٨٠٪ من سمك بحيرة ناصر.

(٢) وهى سمكة مفترسة.

عـدد التماسـيح فهى أن هناك حـوالى ٨٠ ألف تمسـاح. ومن كل هذه الإحصائيات نجد أننا من الممكن أن نسـتفيد بالبحيرة عن طريق تزويد الصيادين بـأدوات صيد حديثة وقوارب أكثر اسـتعدادا وخصوصا مع الأسماك التى تصل بحجمها إلى أحجام وأوزان وأطوال كبيرة.

أيضا نسـتطيع أن نشيد العديد من القرى السياحية على الخلجان، ونسـوق سياحيا لها على أسـاس أنها تتبع السياحة الترفيهية وصيد السمك والمغامرة ودراسة الحياة البرية ومراقبة الكائنات والحيوانات مثل التماسيح والضباع والذئاب والأنواع المختلفة من القوارض والحيات والطيور، وهو نمط من السـياحة معروف فى البلاد السياحية المتقدمة الآن. تخضـير الصحـراء ورى أراضٍ وإنشـاء مـزارع سمكية وتربية التماسيح وتصديرها لبلاد العالم لعرضها فى حدائق الحيوان الطبيعية. يجـب الوضع فى الاعتبار أن كل هذه المشـاريع يجب أن تراعى البيئة والطبيعـة والمحافظة على نظافتها وعـدم تلويثها أو الإخلال بالنظام البيئى الطبيعى.

معلومات مهمة وتاريخية:

١ – قام الوزير بهاء الدين قراقوش بالإشراف على حفر بئر عميقة جدا فى داخل قلعة صلاح الدين الأيوبى لكى يسهل للجنود المتواجدين داخـل القلعة الحصـول على ماء النيل. وقد أطلق على البئر اسـم بئر يوسف. ومن الجدير بالذكر أن الاسم الأول لصلاح الدين الأيوبى القائد المغوار للجيوش الإسلامية هو "يوسف". وقد وثق بهاء الدين بن شداد

فى مخطوطه المهم "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" الكثير من ألقاب صلاح الديـن الأيوبى , حيث كتب فى بداية مخطوطه"....رافع عَلم العدل والإحسـان صلاح الدنيا والدين سـلطان الإسلام والمسلمين , منقذ بيت المقدس من أيدى المشـركين خادم الحرمين الشريفين و "أبى المظفر يوسـف بن أيوب بن شاذى". وصل عمق البئر إلى حوالى ٩٠ مترا تقريبـا. والعجيب فى هذه البئر العميقة أن بسـبب عمقها الكبير تم وضع سواقى تحركها أبقار كى يتم رفع مياه النيل إلى أعلى.

٢ – وصـف الكاتب التركى "خالد ضياء الديـن" (وُلد عام ١٨٦٧م وتوفى سـنة ١٩٤٥م) الكبارى بمصر والتى تعلو نهر النيل وكتب "أن فى المدينة خمسـة كبارى رئيسـية وهى : ثلاثة فـى الجزيرة واثنان فـى جزيـرة الروضة . يمر خط ترام مزدوج من كبـارى الروضة وعلى جانبيـه توجد طرق خاصـة للعربات وأخرى للمشـاة وكان يوجد من الكبارى مالا يؤخذ عليه أجرة مرور والتى تسمى رسم مرور الكوبرى. وأضـاف "خالد ضيـاء الدين" يضاء هذا الكوبـرى (يقصد كوبرى قصر النيل) بمصابيح غاز الفحم والمعلقة بشـكل تقابلى كل عشرة أمتار" ويفجـر الكاتب مفاجأة وهو يؤكد أن ظاهـرة الزحام على الكوبرى كانـت موجودة فى هذا العام الذى زار فيـه مصر وهو عام ١٩٠٩م وكتب: "وبسـبب كثرة المرور عليه والعبور فوقه فهو ضيق بدرجة لا يمكن معها اسـتيعاب المارين والغادين عليه" وذكر أيضا أن نهر النيل"... لونـه أحمر وقت الفيضان , وفى زمان الانحسـار يصبح

لونه أسمر". وأكد فى كتابه "ذكريات مصورة عن مصر (المشروع القومى للترجمة – المجلس الأعلى للثقافة – كتاب ١٠٣٨) بأنه "يبدأ نهر النيل فى الفيضان فى السابع عشر من شهر يونيو الإفرنجى من كل عام , ويظل حتى الأول من شهر سبتمبر , ويبدأ فى الانحسار تدريجيا اعتبارا من العشرين من أكتوبر , ويصل إلى درجة الانحسار القصوى فى شهر أبريل". وقال إنه كانت هناك مجهودات مبذولة فى ذلك الزمان حتى لا يضيع ١٣٠٠٠ متر مكعب بلا فائدة من الماء الذى يصب فى البحر الأبيض فى كل ثانية". كل ثانية!!

٣ – من أوائل المحاولات الناجحة لرسم آثار النيل كانت على يد البحار الدانماركى "فريدريك نوردين"، وقد وصل إلى مصر فى عام ١٧٣٧ ميلادية. ومن أهم الرسومات التى أنجزها "نوردين" بمهارة فائقة هى رسم تمثال أبو الهول وهو مغمور فى الرمال حتى رقبته. ومن المهم أن نذكر هنا أن وجه أبو الهول فى هذا المنظر قد تم رسمه وهو محطم الأنف! وهذا مايؤكد أن الفرنسيين لم يحطموا أنف أبى الهول لأنه – وطبقا لرسمة نوردين – كان محطم الأنف ٦١ عاما على الأقل قبل غزو نابليون بونابرت لمصر.

٤ – لم تقم كل الثقافات ولا كل الحضارات على ضفاف نهر النيل فمثلا لدينا مثال واضح ومؤكد أن المجموعة البشرية الجنوبية التى تم اكتشاف بقاياهم و آثارهم فى المنطقة التى أطلق عليها "نبتا بلايا" بالجنوب , كانت على بعد ١٠٠ كيلومتر غرب أبوسمبل بالصحراء الغربية المصرية الجنوبية.

نبتا بلايا :

هل تعلم عزيزى القارئ، عزيزتى القارئة أين أو ما هى "نبتا بلايا"؟ كثير من الناس سوف يتعجب من هذا الاسم، بل من الممكن أن يتساءل البعض ما هى علاقة هذا الاسم الغريب بالآثار الموجودة على أرض مصر. نعم، "نبتا بلايا" مكان أثرى غاية فى الأهمية ويشغل تفكير الكثير من علماء الآثار المصريين والأجانب. هو مكان، يعتقد البعض، إنه بداية انطلاق الحضارة المصرية القديمة ذات المجتمع المنظم والتفكير المبتكر والمثمر وذات التأثير على حضارات العالم. البداية كانت فى "نبتا بلايا"! ولكى نتعرف أكثر إلى هذا الاسم وأثره وآثاره، دعونى أصطحبكم فى رحلة عبر أبواب الزمن نخترق فيها أزمنة قديمة، ولكن هذه الرحلة ليست إلى عالم المصريين القدماء (الفراعنة) ولكن قبلهم بكثير.

أصل الاسم:

"نبتا" هو اسم جبل يقع بجوار المكان الأثرى الذى نحن بصدد شرحه هنا: أما عن "بلايا" فهو لفظ من أصل أسبانى يعنى شاطئ، هو حوض أو بحيرة تصل بقاعها الذى يسمى "السرير" إلى البر أو الشط، هو أيضا اسم يشرح حوض صرف مغلق يحتفظ بالماء الذى يملؤه عن طريق المطر ولكنه لا يسمح لهذه المياه بالتصريف والصب عن طريق قنوات أو أنهار أو محيطات.

أين تقع "نبتا بلايا":

تقع هذه المنطقة الأثرية القديمة والتليدة على بعد حوالى ٨٠٠ كليومتر جنوب القاهرة و١٠٠ كليو متر غرب أبو سمبل بالصحراء النوبية، وعلى بعد ٣٠ كم شمال الحدود المصرية السودانية. وأصبح الوصول إليها أسهل وأيسر من ذى قبل نظرا لوجودها على جانب طريق يصل إلى العوينات (موقع مصرى يقع فى نقطة التقاء حدود مصر والسودان وليبيا تقريبا).

التاريخ والزمن:

كانت الأمطار تسقط على الأراضى الإفريقية بكميات متفاوتة وفى أزمنة مختلفة، ولكن منذ حوالى ١٢٠٠٠ عام بدأت الأمطار الصيفية لإفريقيا المدارية تتجه إلى الشمال الشرقى للقارة مكونة بحيرات مائية بجانب الجبال، ومنها بحيرة "نبتا" والتى يعتبرها العالمان "فيفيا ديفيز" و"رينيه فريدمان" من أكبر بحيرات هذه المنطقة الإفريقية. ساعدت مياه تلك البحيرة الشاسعة على نمو الأشجار والنباتات والحشائش وبالتالى تجمع فيها أنواع عديدة من الحيوانات التى تتغذى على هذه الحشائش مثل الغزال والظبى والزراف. عاش الإنسان الأول هنا فى أزمنة متعاقبة، تكثر أعداده عندما تتوافر المياه وتقل بل ويهجرها إذا اختفت هذه البحيرة لقلة الأمطار المتفاوتة الغزارة أو تبخرت أو لأى عوامل طبيعية أخرى.

العلماء يؤكدون أن "نبتا بلايا" كانت مأهولة بالسكان منذ ١٢٠٠٠ عام إلى ٧٣٠٠ عام مضت، ويعتقد بعضهم أن الحياة البشرية استمرت هنا حتى منذ ٤٨٠٠ عام مضت. وقد ترك هؤلاء الأوائل أثارا لهم شُيدت ما بين ٦٥٠٠ إلى ٤٥٠٠ عام مضت. التنقيب فى هذا المكان القديم أوضح أن هذا المجتمع قد نجح من حوالى ٨٠٠٠ عام مضت فى إدارة شئون الحياة والمجتمع بطريقة منظمة ودقيقة جدا لدرجة تدعو للذهول. ففى عام ١٩٧٣ وحتى ١٩٧٧ ميلادية تمت دراسة وتحليل وتأريخ "نبتا بلايا" عن طريق العالم المجتهد "فريد ويندورف" و"رومولد شليد" وأعضاء بعثتهم. اكتشفت البعثة على الأقل خمسة عشر منزلا بيضاوى الشكل مشيدة من البوص والخوص والعصى، وحفرا لتخزين الغلال والفاكهة، وعددا من شقافات الفخار[1]، وثلاثة أبيار كانوا قد حُضروا للاستفادة من المياه فى حالة عدم وجود مياه فى البحيرة. أعتقد أن هذه المجموعة من المصريين الأوائل قد انتقلوا إلى وادى النيل شرقا لكى يكونوا قريبين من مصدر المياه الذى لا ينقطع ألا وهو نهر النيل، وذلك عندما قلت الأمطار فى هذه البقعة من مصر فتحولت إلى صحراء جرداء لا حياة فيها ولا ماء وذلك لأن عدم وجود المياه معناه عدم نمو الحشائش مما يسبب هجرة الحيوانات جنوبا للبحث عن مصدر للطعام، ويؤدى أيضا إلى انحدار واختفاء الزراعة

(١) ربما هى الأقدم فى إفريقيا. صفحة ٢٠ كتاب "مصر" "فيفيان ديفيز" و"رينيه فريدمان" – المتحف البريطانى ١٩٩٨.

والأهـم أنه مـن المعروف أن الإنسـان – مهما قويـت درجة احتماله الجسـمانية – لا يسـتطيع أن يعيش بدون مياه لمـدة طويلة. ولكنهم هجروا "نبتا بلايا" تاركين ورائهم حضارة جديرة بالاحترام والتقدير والدراسة، بل والآثار التليدة ومنها ذلك الأثر الذى ربما لا يكون هرما أو معبـدا شـاهقا، ولكنه أثر يعتبر من أهم آثار الحضارات البشـرية جمعاء، وهو "دائرة التقويم".

دائرة التقويم السنوى:

برغـم صِغر حجم هذا الأثر (يصل قطـره إلى حوالى ٤ أمتار أى ١٣ قـدم) إذ ما قورن بهرم خوفـو أو بهو الأعمدة بالكرنك إلا أنى أعتبره وبدون مبالغة، أهم بكثير من ناحية الاسـتفادة البشـرية منهما. هو أيضـا أثر يثبت بما لا يدع مجالا للشـك أن عبقرية المصريين الأوائل، قبل عصر الأسـرات وتوحيد القطرين حـوالى ٣٣٠٠ قبل الميلاد تقريبا ، قـد وصلـت إلى حد فاق العديـد من الحضارات الأخـرى. هو عبارة عـن دائرة من الأحجـار[1] تحيط بعدد من الأحجـار داخلها. الدائرة الخارجية تحتوى على أربعة أزواج من الأحجار بعضهم أكثر ارتفاعا من الآخـر، ولكنهم موضوعون بجانب بعضهـم البعض. كل حجرين بجانب بعض ولكن الأربعة أزواج منفصلون عن بعضهم، تصلهم ببعض عدد مـن الأحجار غير المرتفعة. بالتالى تظهـر الأزواج بارزة متجهة

(١) الأحجار منحوتة من محجر قريب من الموقع الأثرى وهى من الحجر الرملى

بقمتهـا (المدببـة أو المثلثة فى أغلبها) إلى السـماء. يطلق العلماء على هذه الأزواج الحجرية اسـم "البوابات"! المثير فى هذا الأثر أن العالم "شيلد" اكتشف أن لزوجين حجريين متقابلين تم وضعهما بشكل دقيق وبطريقة فلكية جغرافية دقيقة تنم عن علم ودراسـة دقيقة لاتجاهات الأرض الأربعـة الأصليـة. تم وضعهمـا بحيث يكونا معـا، على خط واحد، مسـتقيم لا يتعرج، يشير إلى اتجاه الشمال والجنوب. والأكثر إثـارة فى هذا الأثر الفريـد أن الحجريين الزوجين الآخرين قد وضعا بيـد المصريين الأوائل على خط الاتجاه الشـرقى للشـمال بدرجة ٧٠. هـذا الاتجاه يتجه صوب الشـمس فى يوم ٢١ يونيو. هـذا اليوم كان يمثـل أهمية كبيرة للإنسـان فى ذلك الوقت والمـكان لأنه يمثل بداية فصـل الأمطار والصيف فى هذا المكان مـن إفريقيا. هذا أكثر دليل على أن الإنسـان فى "نبتا بلايا" كان قد درس ظاهرة "الانقلاب الشمسي"، وهى الظاهرة التى تتكون عندما تكون الشمس فى أبعد أماكنها عن خط الاستواء السمائى، وهى شمالا فى الصيف وجنوبا فى الشتاء.

إذن هذا العـدد من الأحجار المكون لهذه الدائـرة وما تحتويه من أحجـار موضوعة بشـكل مرتب ودقيق، هـى أول نتيجة أو تقويم فى تاريخ البشـرية. بل نسـتطيع أن نضيف هنا أن هـذا الأثر يُعتبر أول سـاعة فى تاريخ البشرية لمعرفة الزمن والوقت والفصول والمواسم، هى أيضا بوصلة دقيقة جدا لدراسة ومعرفة الاتجاهات.

آثار أخرى مهمة:

بجانب هذه الساعة المبهرة تم اكتشاف العديد من الآثار التى لا تقل دقة وإبهارا عنها، ومنها: عدد من الأحجار الضخمة والتى تتعدى أوزانها الطن الواحد. العدد الأكبر منها تم اكتشافه فى الجانب الشمالى لموقع "نبتا بلايا". تم وضع عدد من هذه الأحجار على خط يصل طوله إلى حوالى ٦٠٠ مترا، وهو مقسم إلى ٣ خطوط بطريقة دقيقة بحيث تكون متجهة إلى نقطة صعود وظهور النجمة الأكثر تألقا فى مجموعة الدب الأكبر Ursa Majoris بين عامى ٤٧٠٠ و٤٠٠٠ قبل الميلاد كما يعتقد عالم الفلك "مالفيل".

خط آخر من الأحجار يصل طوله إلى ٢٥٠ مترا يتجه إلى نقطة وجود أكثر النجوم تألقا فى مجموعة الجبار أو الصياد Orion عندما تصعد.

خط آخر يتجه إلى نقطة صعود نجمة الشعرى اليمانية Sirius أو Canis Majoris، النجم الكلب.[1]

غرائب "نبتا بلايا":

انتشرت الكثير من النظريات التى تفسر الآثار الغامضة فى "نبتا بلايا"، ومنها نظرية خرج علينا بعض المغامرين بها فى عام ٢٠٠٢م.

---

(١) مقالة إنقاذ "نبتا بلايا" - "ريموند بيتز" - مجلة Ancient egypt - مجلد ١٠ نمرة ٢ - الإصدار ٥٦ - أكتوبر - نوفمبر ٢٠٠٩م

تقول النظرية إن هذه الآثار لها علاقة بكائنات فضائية مما آثار حفيظة العلماء الجادين ولكن على الجانب الآخر أثارت اهتمام المعتقدين بنظرية علاقة الكائنات غير البشرية الفضائية بالآثار الموجودة على سطح الأرض! هذا أدى إلى زيادة العديد من السائحين لـ "نبتا بلايا" وخصوصا بعدما تم رصف طريق "العوينات" الذى سهل وصول الناس إليها.

سارع المسئولون المصريون بنقل الدائرة التقويمية وعدد من الأحجار المهمة فى ١٨ فبراير من عام ٢٠٠٨م وأعيد تشييدها فى حديقة المتحف النوبى بأسوان. ولكن تم نحت مستنسخ من الأحجار الأصلية وتم وضعها فى المكان الأصلى.

ويبقى "نبتا بلايا" هو المكان الذى بدأت منه الحضارة المصرية التليدة. هنا: بدأت القصة هنا انبثقت أشعة الحضارة فى بدايتها. هنا تمخضت الأحجار المنحوتة لتلد حضارة من العلم والنحت الراقى. هنا: فى "نبتا" كان النبت الأول لعلم الفلك وتحركات الأجرام السماوية. تحية إلى هؤلاء المصريين الأوائل والنوبيين الأول.

٥ – فى متحف برلين بألمانيا والذى يسمى هناك بالمتحف المصرى , وليس ببعيد عن رأس "نفرت – إيتى" (نفرتيتى) زوجة الملك إخناتون , يوجد طبق مستدير يرجع إلى الأسرة الثامنة عشر (حوالى ١٤٥٠ قبل الميلاد) يصل قطر الطبق إلى ٩سم واللون الأزرق التركوازى هو الغالب، وعلى هذه الخلفية الزرقاء التركوازية الرائقة رسم الفنان المصرى القديم القدير ثلاث سمكات من النوع البورى النيلى فى شكل هندسى وواقعى

رائع ، ورسم أيضا ثلاث ورود لزهرة اللوتس النيلية الشهيرة والتى كانت ترمز إلى البعث وإعادة الحيوية. يعتقد عالم مصريات أن السمك البورى أيضا كان يُنظر إليه كرمز للحياة لأنه يضع البيض فى فمه وهذا يعنى إعادة الولادة رمزيا عند المصرى. إذن , لدينا هنا فن راقى ولكن له أسباب طقسية لها علاقة بما يحدث فى الطبيعة ولكنها تفسر بطريقة دينية من وجهة نظر المصرى القديم . وإذا تم وضع طبق كهذا فى المقبرة فهو يساعد المتوفى فى عملية البعث , وهذا طبعا من وجهة النظر الكهنوتية المصرية القديمة. ومن الطريف إننا حتى يومنا هذا نضع صوانى وأطباق على شكل سمك أو أطباق لأكل السمك مرسوم عليها مناظر لأسماك.

٦ – زرع المصرى القديم العديد من النباتات ذات الخصائص العلاجية ورواها بالمياه مثل الشبت الذى إستخدمه لطرد الريح , وخشب الدود وهو مطهر وخافض للحرارة كما شرح العالم الجليل "جون نَن" , ونبات بريون وهو مسهل قوى ومنبه ومُقىء وطارد للديدان , والخروب وهو مضاد للإسهال ومضاد للبكتيريا , والعرعر وهو مطهر ومدر للبول ومسكن للآلام , والخروع المسهل القوى والصفصاف وهو مسكن وخافض للحرارة. ومن الأدوية الشائعة الاستعمال فى مصر القديمة هى البلح والقمح الجبلى والعنب والتين والبسلة والجميز المشقوق والبطيخ وملح الدلتا والكزبرة واللبن والعسل. ومن أغرب الوصفات العلاجية التى جاءت فى بردية إيبرس الشهيرة :"علاج آخر لإزالة اعوجاج أهداب العين: بخار إنتيو , دم سحلية, دم خفاش , انزع الشعرة , ثم ضع

المزيج على العين" . هكذا ذكر العالم "جون نن" فى كتابه المبهر "الطب المصرى القديم". وطبعا كل هذه الوصفات والعلاجات هى من وجهة نظر بعض المصريين القدماء ومن آلاف السنين ونحن هنا لا ننصح باستعمال أى وصفة أو علاج إلا بأمر الطبيب الذى يباشر العلاج الآن وطبقا للعلم الحديث والمتقدم فى القرن الواحد والعشرين وما يليه.

٧- فى ثانى كتبه[1] التسعة كتب هيرودوت عن نهر النيل قائلا: يستحق أن يقارن - من حيث الحجم - بأحد فروع النيل وفروع النيل خمسة. وهناك أيضا أنهار أخرى لا تقاس بالنيل فى عظمته ولكنها أوجدت آثارا عظيمة. وكتب عن الطمى يقول :"قد لاحظت علاوة على ذلك , أن مصر , فى تربتها , لا تشبه بلاد العرب التى تقع على حدودها , ولا ليبيا , ولا سورية(فمناطق الساحل العربية مأهولة بالسوريين) .بل إن تربتها سوداء وبها شقوق , لأنها مكونة من رواسب الطمى التى جلبها النهر من "إثيوبيا". وشرح هيرودوت الفيضان كاتبا: "ولقد حدثنى الكهنة أيضا عن طبيعة هذه البلاد , وقدموا لى هذا البرهان الكافى: قالوا إن النهر فى عهد الملك"موريس" (اسم لم يتعرف عليه المؤلف لهذا الكتاب الذى بين أيديكم الآن ولم يمر علىّ فى قراءاتى المتواضعة أكثر من ربع قرن، ولا يأتى هذا لى كمفاجأة , فأنا فى حالة اعتياد من هيرودوت أن يضع المعلومات الغريبة والأسماء العجيبة التى لم يذكرها التاريخ).

---

(١) الكتاب الثانى من مجموعة كتبه كان عن مصر والمصريين.

(على قارىء هيرودوت أن يتخذ حذره لأنه إذا لم يكن قارئا جيد) فـى التاريخ فهو معـرض لتضليل هيرودوت. أقول نسـتطيع أن نأخذ منـه ما نأخذ ونترك قصصه الوهمية والمتحيـزة والمضللة – المؤلف) . كان يـروى من مصر الجزء الذى يلـى "ممفيس"(ميت رهينة بالجيزة – المؤلف) إذا ما ارتفع الماء فيه ثمانية أذرع (الذراع يسـاوى ٥٢ سـم – المؤلف) فحسـب "...أما فى الوقت الحاضـر – إذا لم يرتفع النهر سـتة عشرا أو خمسة عشر ذراعا على الأقل". وكتب :"توجد فى النيل صخور حادة وجنادل عديدة تتعذر بسـببها الملاحة "[1]. وهذا مايؤكد أن بحارة نهر النيل كانوا على أعلى مسـتوى من الأداء. ويذكرنى هذا بالمثل الرائع "البحار الهادئة لا تصنع بحارا ممتازا".

٨– فى أوردة الطلوع فى النهار (الاسـم الصحيح ل "كتاب الموتى") والتى تصل فى أطول مثال لها إلى ١٩٠ فصلا، ينفى المتوفى عن نفسـه فعل أشـياء مشينة فى خلال حياته، ومنها بعض الاعترافات للمتوفى تـدل على أنه تعامل مع ماء النهر بشـكل راق وحضـارى جدا. يقول المصرى القديم فى يوم الحساب: لم أرتكب خطيئة

– لم أصطد سمكا فى مستنقعاتها

– لم أحبس الماء فى موسمه

– لم أقم سدا أمام المياه المتدفقة

---

(١) هيرودوت يتحدث عن مصر. تأليف هيرودوت ترجمة: محمد صقر خفاجة – تقديم أحمد بدوى – المركز القومى للترجمة

٩ – فى عصر الرعامسة (الملوك الملقبين ب"رع مسيس" – المؤلف) بالدولة الحديثة كتب المصرى القديم بعض النصوص على بردية أطلق عليها حديثا "بردية تشيستر بيتى" , ومنها أنه إذا رأى إنسانا نفسه فى الأحلام وهو نائم وهو يعبر ماء بواسطة معدية فهذا فى تفسيرهم للحلم يكون منام حسن ويعنى نهاية الصعوبات.

١٠ – فى البر الغربى لأسوان النوبية يوجد مجموعة مقابر منحوتة فى الجبل , ويطلق على هذا المكان "قبة الهوا" لوجود قبة إسلامية أعلى الجبل. من ضمن هذه المقابر البديعة المملوكة لنبلاء ومحافظين للجنوب وقائدى القوافل النوبية يوجد مقبرة مهمة جدا للمدعو"حرخوف" لجلب الأبنوس (نوع من الخشب الرائع) والحبوب وجلود الفهود، بها نص تم ترجمته ليفجر مفاجأة مدوية فى عالم التاريخ والجغرافيا. النص القديم يؤكد أن "حرخوف" بجانب كونه أميرا وحاكما للوجه القبلى وأمير خزانة الوجه البحرى والكاهن المرتل وال"إيماخو" (إيماخو هى كلمة مصرية قديمة معناها "المبجل"لدى "وسير" أزوريس" , فهو مكتشف لأماكن فى الجنوب من القطر المصرى فى إفريقيا السمراء . يقول النص "أرسلنى سيدى "مرنرع" (اسم الملك .... إلى بلاد "يام"(كائنة جنوب الجندل الثانى بالسودان (دنقل الآن) لاستكشاف دروبها وأنجزت هذه المهمة فى غضون سبعة أشهر". وقد بعثه الملك مرة ثانية و ".....صعدت عن طريق "إلفنتين" (جزيرة بأسوان النوبية) وهبطت فى رحلة دامت ثمانية أشهر ذكر فيها

"حرخوف" المكتشف العبقرى بعض أسماء الأماكن مثل بلاد "إيرتت" و "معخر" و "ترس إيرتتى" وهى أماكن فى الجنوب الجميل. وتكررت الرحلات الاستكشافية لأول مستكشف فى التاريخ أرخ لرحلاته بالتفصيل والسرد الدقيق , وقد أكد أنه كان المستكشف الأول للمناطق الإفريقية حيث قال: " ولن تجد صديقا وحيدا , ورئيسا للمترجمين يمكن أن يكون قد صعد من قبل فى بلاد "يام" (إلى هذا الحد البعيد). لم يكن "حرخوف" عارفا ببواطن الدروب والمسالك سواء أكانت البرية أو النيلية ولكنه أيضا كان دبلوماسيا، فقد ساعد فى إقرار السلام بين مجموعتين متناحرتين هما "يام" و "التمحيو" . يقول "حرخوف" فى النص القديم : "ولاحظت أن زعيم بلاد "يام" قد مضى إلى بلاد "التمحيو" ليعاقبهم (وذهب) بعيدا بقدر (بعد) الركن الغربى من السماء. وصعدت فى أعقابه إلى بلاد "التمحيو" وأقررت فيها السلام. "حرخوف" كان عبقريا جنوبيا، يجب علينا جميعا أن نتعرف إليه ونُعرف أجيالنا القادمة على إنجازاته الجنوبية العظيمة, قبل ليفينجستون وغيره من مستكشفى إفريقيا. والرائع فى شخصية هذا المصرى الجنوبى المبهر أنه كان وكما وصف هو نفسه : "....محبوب من والده , تثنى عليه والدته ومحبوب من جميع أشقائه".

١١ – مدينة الكفاح والحضارة فى نهاية فرع النيل , من الممكن أن نطلق هذا العنوان على هذه المدينة المتفردة والتى تتمتع بموقع جغرافى متميز جدا على ساحل البحر المتوسط (والذى أطلق عليه المصرى القديم

اسم "الأخضر الكبير") هى مدينة رشيد التليدة التى يتمتع قاطنيها بالشجاعة والوطنية عبر تاريخهم المشرف. ولأهميتها الاستراتيجية وموقعها المهم جدا أمنيا وعسكريا , ولإشرافها على نقطة غاية فى الحساسية والأهمية على مخرج نهر النيل وعلى البحر المتوسط كانت رشيد دائما وأبدا محط أنظار الحكام والجيوش والشعوب منذ إنشائها . وهذا ماجعلها مدينة تعج بالآثار من مختلف الحقب والأزمنة.
اسم "رشيد" له تاريخ فى علم اللغويات , فقد تم إطلاق اسم "رخيت" عليها أولا وهى كلمة مصرية قديمة كانت تطلق منذ آلاف السنين على أهالى وسكان الدلتا القدامى، وكان هذا قبل عملية توحيد القطرين. ثم تطور وتغير الاسم مع الوقت ليصبح "رشيت" فى اللغة القبطية ثم إلى الاسم الحالى "رشيد". ولكن خبت أهمية رشيد بعض الشيء مع بزوغ نجم مدينة الإسكندرية. ومن الملاحظ عبر التاريخ الطويل لمدينة رشيد التى ترتدى ثوبى المتوسط والنيل أن حكام مصر وقادتها كانوا حريصين على تشييد القلاع والتحصينات لحماية هذا المكان لكى يوقفوا أى محاولة لاحتلال "رشيد" من ناحية النيل أو المتوسط . فنجد مثلا تحصينات الملك"ميرنبتاح"حكم مصر لمدة عشرة سنوات تقريبا، مابين عامى ١٢٢٤ – ١٢١٤ قبل الميلاد وهو الابن الثالث عشر للملك رعمسيس الثانى – الأسرة التاسعة عشر) لكى يتمكن الجيش المصرى القوى من صد الهجمات الشرسة لرجال البحر (مجموعات محاربة حاولت احتلال مصر وسوريا وفلسطين إبان القرنين الثالث

عشر والثانى عشر قبل الميلاد، ربما يكونوا من أصل ينحدر من مناطق آسيا الصغرى وبحر إيجة. هم مجاميع بشرية مهاجرة . هاجموا مصر لأول مرة فى عصر الملك "ميرنبتاح"، ولكن قوة الجيش المصرى هزمتهم وقتل منهم أكثر من ٦٠٠٠ آلاف فرد. لكنهم عادوا ليهاجموا مصر فى عصر الملك "رعمسيس الثالث"، ويدحرهم مرة أخرى الجيش المصرى على الأرض وفى مياه المتوسط عن طريق الأسطول البحرى المصرى المتمكن . وقد أرخ المصرى كل هذه الانتصارات بالنص والمناظر فى معبد مدينة هابو ومعابد الكرنك ولوحة ليبيا الشهيرة (بالمتحف المصرى الآن) للملك "ميرنبتاح") . وعلى شواطىء رشيد كان هناك معسكر حماية ودفاع مصرى فى زمن الملك "بسماتيك الأول" (الملك واح ـ إيب ـ رع الذى حكم من عام ٦٦٤ إلى عام ٦١٠ قبل الميلاد). ورشيد هى مدينة النيل والبحر التى احتضنت معبد"بولبتنيوم" فى العصر البطلمى الإغريقى (البطالمة هم حكام مصر بعد وفاة الإسكندر الثالث المقدونى وانتهى حكمهم بهزيمة مارك انطونيو والملكة كليوباترا السابعة الشهيرة من قبل الرومان بقيادة أوكتافيوس أوغسطس الحاكم الرومانى). ومن المهم أن نذكر هنا أن هذا المعبد كان به لوحة رشيد (التى نطلق عليها خطأ حجر رشيد، لأن الحجر هو الذى يقتطع من المحاجر وحال النقش عليه يصبح لوحة). وقد استخدم العلماء هذه اللوحة المهمة فى فك طلاسم الكتابة المصرية القديمة، وقد تم اكتشاف اللوحة عن طريق جندى فرنسى وهو يعمل فى قلعة قايتباى برشيد عام ١٧٩٩م لأن اللوحة قد تم استخدامها كحجر بناء فى تشييد القلعة التى أمر ببنائها المملوكى قايتباى.

رشيد تتميز بوجود أسواق قديمة وحمامات وأبراج ومنار وسور السلطان الغورى ومنازل عثمانية وطاحونة أبو شاهين ومساجد أثرية وأضرحة ومشربيات بديعة. رشيد التى تتميز بالقوة مثل نهر النيل وظهر غضب شعبها كهدير مياه الفيضان عندما حاول الإنجليز احتلالها فقامت سيدات رشيد البطلات بسكب المياه والزيت المغلى على جنود العدو فتم الانتصار على غزوة فرقة فريزر الغاشمة.

١٢ – صنع الفنان المصرى القديم طبق على هيئة سمكة البلطى ويرجع هذا الأثر إلى عصر الملك "دجحوتى مس" (نطلق عليه تحتمس) الثالث الذى تم نحت اسمه داخل خرطوش ملكى على جانب من السمكة . هذه القطعة الفنية الأثرية قطعة بديعة بتفاصيل مذهلة وهى موجودة الآن فى متحف المتروبوليتان للفن بمدينة نيويورك , ونطالب بعودته إلى أرض الوطن.

١٣ – كهف السباحون الذى يرجع إلى عصور ماقبل الكتابة وتوحيد القطرين يظهر به عدد من الأفراد يسبحون ويحركون أذرعهم وأرجلهم. هذا الكهف يوجد فى الصحراء الغربية المصرية ويقع بعيدا عن نهر النيل , وسؤالى هنا :أين كان يسبح هؤلاء المصريون؟.

١٤– فى عام ١٩١٣ ميلادية تم إصدار عملة ورقية عليها رسم بديع لمنطقة الأهرامات ومياه النيل التى تبحر عليها فالوكة ذات سارى عالى وشراع ضخم . كانت فئة هذه العملة هى فئة الخمسة جنيهات. المهندس مجدى حنفى ذكر فى موسوعته أن التوقيع على هذه العملة

كان ل"فريدريك رولات". وقال إن نهر النيل هو ثانى أنهار العالم طولا. وتم وضع صورة لتمثال الرب "نيلوس" الأسطورى ذو الستة عشر طفلا على العملة الورقية فئة الخمسة جنيهات فى إصدار عام ١٩٥٢م. وعلى فئة الخمسة جنيهات التى صدرت فى عام ١٩٨٠م يوجد رسمة للرب "حعبى" النيلى الأسطورى.

١٥ - ترجع عادة ركوب القوارب والمراكب فى نهر النيل فى أيام الأعياد والاحتفالات إلى أجدادنا القدماء. فمن الأعياد المشهورة التى ذكرها هيرودوت هو عيد القطة(الربة باستت القطة الأسطورية) فى معبدها بتل بسطة (الزقازيق بمحافظة الشرقية الآن). فمن أجل الذهاب إلى المعبد يركب الناس القوارب ويُبحرون فى النهر للوصول وقد ذكر هيرودوت أن هناك عددا كبيرا جدا حدده بقوله"....ويبلغ عدد المجتمعين فى هذه المناسبة وفقا لقول أهل البلاد، سبعمائة ألف من الرجال والنساء عدا الصبية".وقد وصف هيرودوت نهر النيل ب"....لأن نهر النيل له طبيعة خاصة مغايرة لطبيعة باقى الأنهار".

١٦ - تكرر منظر منحوت لتمساح على جدران مقابر مصاطب سقارة(أطلق عليها مصطبة فى اللغات الأجنبية أيضا و ذلك لتشابه الجزء الظاهر فوق سطح الأرض للمقبرة مع المصطبة) فى محاولة لمهاجمة فرس النهر من الخلف , ولكن فرس نهر آخر يقوم بعض التمساح من الخلف ربما يكون دفاعا عن فرس النهر الأول. وربما يكون هذا المنظر المكرر هو منظر رمزى ينم عن الخير والشر أو منظر لحالة واقعية رآها

المصـرى كثيرا كونـه كان يعيش على ضفاف النيـل. يظهر هذا المنظر بوضوح على جدار حجرى بمقبرة "كاجمنى" الذى تبوأ وظائف ومراكز حكومية كثيرة فى عهد ملوك كُثر مثل الملك "إسسى" و"ونيس" (الملقب الآن خطأ ب"أوناس" وله هرم مشهور بمنطقة جبانة سقارة ليس بعيدا عن الهرم المدرج للملك "جسر" (الملقب خطأ بزوسر). وكان "كاجمنى" وزيـرا فى عهد الملك "تتى" إبان فترة الدولة القديمة. وقد درس وذكر ألقابـه العالم الجهبذ المصرى "نجيب قنواتـى"، ومنها , رئيس كتبة الوثائـق الملكية، ورئيس جميع أشـغال الملك ورئيس المحاكم السـتة الكبرى و رئيس الشونَتيْن (الشـونة هو المبنى الذى تحفظ فيه البذور والمنتجـات الزراعية)، ورئيس بيتَىّ الفضـة، ورئيس بيتَىّ الذهب، ورئيس مصر العليا والسـفلى (رغم أنـه لم يكن ملك مصر – المؤلف).

١٧ – كان الرى فى مصر القديمة يتم بطرق مختلفة ومنها الشادوف ونقل المياه فى أوان لرى الحدائق.

١٨ – تُعد نسـبة الوفيات فى البشـر من جـرّاء هجمات الحيوان النيلـى فـرس النهر أكثـر من تلك التـى تحدث من جـرّاء هجمات التماسيح النيلية . وهذه المعلومة والإحصائية تُعتبر غريبة إذا ماوضعنا فى الاعتبار أن فرس النهر حيوان نباتى لا يأكل اللحم.

١٩ – شـيّد ملـوك الدولة الوسـطى عددا من القـلاع والتحصينات العسكرية الهائلة فى الجنوب . تم دراسة قلاع مثل سمنة وكوما وشيلفاك أسكوت و إيكن و بوهيدوكور . تقبع بعض القلاع الآن فى بحيرة ناصر.

٢٠ – شيّد "إخناتون" الذى حكم مصر من عام ١٣٧٥ إلى عام ١٣٥٠ قبل الميلاد إبان الأسرة الثامنة عشر مدينته التى أطلق عليها "آخت – إيتن" (أفق إيتن المسمى الآن آتون) على الجانب الشرقى لنهر النيل, ولكن فى صحراء بلا أى خضار أو خصوبة وهما الصفتان اللتان كانتا تتصف بهما المدن التى تُبنى فى الوادى فى حالة نادرة من حالات بناء المدن المصرية القديمة. والأعجب أن (مثل بنى حسن بالمنيا) مقابر المدينة لم تكن فى الجانب الغربى لنهر النيل كعادة القدماء ولكن فى الجانب الشرقى، ربما لعدم وجود جبال أو تلال عالية على الجانب الغربى والتى كانت من الأماكن المفضلة للقدماء لنحت مقابرهم بها , وذلك تجنبا لمياه فيضان نهر النيل والتى من الممكن أن تدمر هذه المقابر. كانت هناك ثلاثة شوارع فى مدينة "آخت – إيتن" تجرى فى موازاة النهر.

٢١ – قال كهنة مصر القديمة إنه حال تسلم "المياه الأولى" عن طريق الرب النيلى "حعبى" الأسطورى كان يتركها لربتيْن معبودتيْن أسطوريتيْن , الأولى هى "أنوكيس" والتى ترتدى غطاء رأس عال مصنوع من الريش , وطبقا للاعتقاد الكهنوتى توجه"أنوكيس" – التى تتحكم وتوجه مياه الفيضان النيلى من موقعها فى جزيرة سهيل (فى أسوان الآن) إلى أسوان. والثانية اسمها هو "ساتيت" التى تُجيز سريان التيار – طبقا للأسطورة القديمة – بوسيلة قوة سهم . أما المعبود "خنوم" ذ الرأس الكبش كان المعبود الكبير لكل منطقة الجندل.

٢٢ – "قلبى كان حزينا جدا" من العبارات التى جاءت على لسان الملك "نتر – غيت" أو "جسر" (زوسر) الذى حكم مصر إبان الأسرة الثالثة _ الدولة القديمة , فى نص من العصر البطلمى على لوحة حجرية سميكة تسمى لوحة"المجاعة" الكائنة أعلى تل جزيرة سهيل بأسوان النوبية. وكان السبب فى حزن الملك وهؤلاء الذين كانوا فى القصر هو أن الحبوب والبذور وكل ما يؤكل أصبح قليلا. وغالبت الطفل الدموع وكانت قلوب كبار السن بائسة والمعابد مغلقة والهياكل عليها التراب (معفرة من قلة النظافة والاستخدام – المؤلف) , وكل شىء فى عَوَزْ , والسبب فى كل هذه المأساة والكارثة التى ألمت بالبلاد والعباد هو عدم وصول الفيضان فى السبعة سنوات الماضية , كما يذكر النص على لسان الملك. وكان عدم وصول الفيضان كارثة كبرى بكل المعانى وهنا يحضرنى مقولة الحكيم "عنخ شيشونقي" بالكتابة الديموطيقية : "إنها الضفدعة هى التى تمدح الفيضان" وهى عبارة تبدو طريفة ولكنها تحمل معان عميقة.

٢٣ – لم يتم تشييد معابد كبيرة للمعبود النيلي"حعبى" رغم أهميته عند الكهنة القدماء. تم نحت مناظر له على العروش الحجرية التى تُنحت لتماثيل الملك وأيضا على جدران المعابد ولكن لم يتم الكشف حتى الآن عن معبد مكرّس لعبادته.

٢٤ – طائر الرفراف أو Pied kingfisher هو من أجمل طيور نهر النيل يتميز بريشه الأبيض والأسود وهو طائر أنيق وجميل ورشيق

ونشـيط. أطلقوا عليه فى اللغة الإنجليزيـة "الملك الصياد" وهو بالفعل صياد غاية فى المهارة والسرعة والذكاء والنظر الثاقب والتوقيت الدقيق. ودائما ما كنت أشـاهده وهو يضرب بأجنحته فوق مياه نهر النيل فى الجنـوب بالقرب من البر، وبرغم أنه يكون وهو فى هذه الحالة محلق فى الهواء إلا إنه يكون ثابتا بباقى جسـده فى تناغم وتناسـق جسدى بديع. هذا هو وضع الاسـتعداد لطائر الرفراف الذى يرفرف بجناحيه فى الوضع ثابتا مجهزا نفسه للهجوم الصاعق على سمكة تكون بالقرب من سطح المياه وحال رؤيته لها يهبط كالسهم الخاطف غاطسا فى المياه موجها منقاره الطويل المدبب إلى السـمكة الفريسة. فى بعض الأحيان يكون هبوطه قويا جدا لدرجة أنه يغطس بكل جسده تحت المياه حتى يتمكن من الإمسـاك بالسـمكة ثم يخرج من المياه ليذهب إلى مكان آمن لالتهام وجبته الشـهية. رسم المصرى القديم هذا الطائر بدقة متناهية وبتفاصيـل مذهلـة على جدران مقابـره ومعابده مثل منظره المرسـوم بجمال ودقـة مبهرة فى قصر الملك "إخناتون" بتـل العمارنة بالمنيا، ويظهـر الطائر هنا وهـو فى حالة الهبوط السـريع موجها منقاره إلى أسـفل، وكأن الفنان المصرى المبدع كان يمسـك بكاميرا حديثة التقنية من النوعية التى تيسـر التقاط صورة لحركة سريعة. وفى أماكن أخرى يظهر الطائر وهو منحوت مثل جدارية معبد "أوسركاف" (ملك مصرى حكم البلاد مـن عام ٢٤٧٥ حتى عام ٢٤٦٧ قبـل الميلاد، وترجع مدة حكمه إلى الأسرة الخامسـة – الدولة القديمة). وقد شيد "أوسركاف"

هرمه فى منطقة سقارة بالجيزة , وقد تم الكشف عن رأس تمثال له فى معبده الجنزى هو الأول والأقدم من نوعه فى الدولة القديمة بالحجم الكبير , وهذه الرأس الحجرية المنحوتة من حجر الشست (اسم الحجر أيضا "جرايوكة") موجودة الآن ومعروضة بالمتحف المصرى.ويظهر طائرىّ الرفراف وهما منحوتان على جدار مقبرة "مِرروكا" بسقارة، فى محاولة لمهاجمة حيوان النمس الذى يحاول التهام صغارهما فى عشهما و"مِرروكا" كان – يحمل على الأقل– ثلاثة وثمانون لقبا مما جعله من الشخصيات المهمة جدا إبان زمن الدولة القديمة. والعجيب فى الأمر أن الفنان والرسام والنحات المصرى القديم قد صور طائر الرفراف فى أوضاع عدة من طيران إلى وضع الاستعداد إلى الهبوط إلى الدفاع فى أماكن كثيرة وأزمنة متباينة. ويجب هنا أن أقول إنه من اللحظات المبهجة تلك التى انتابتنى وأنا أشاهد هذا الطائر فى الأقصر وأسوان خلال عملى كمرشد سياحى حر لعدة مرات.

٢٥ – أمر الملك "رعمسيس الثالث" (حكم إبان زمن الأسرة العشرون من عام ١١٨٤ إلى عام ١١٥٣ قبل الميلاد . وقد جاء بعد الملك "ست – نخت" , وحكم البلاد بعده "رعمسيس الرابع") فى أيام حكمه ببناء قوارب خاصة بالأرباب الأسطورية لتشترك فى أعياد فيضان النيل. ويكتب العالم"بيير جراندييه" "وكانت تلك الاحتفالات , تعتبر بمثابة فرصة عظيمة للبهجة والسرور . وتتضمن فى نطاقها : تكريس القرابين التى تم توزيعها بعد ذلك على أفراد الشعب بثلاث مناطق

بهليوبوليس"[1]، ومنها "برحعبى" أى "بيت حعبى" . ومن العجيب أن فى كل عام من أعوام حكم الملك المحارب "رعمسيس الثالث" كان "....يتم صناعة ما لايقل عن عشرة آلاف تمثال ل"حعبى" ولزوجته "رننوتت" معبودة الرخاء"[2]. ويشترك الكهنة فى هذه الاحتفالات والقوارب ويشاهدها كبار الشخصيات وأفراد الشعب. ومن الواضح هنا – أعزائى القراء – أن هذه الاحتفالات لم تتضمن أى نوع من القرابين الآدمية أو إلقاء فتاة فى النيل كما كتب البعض.

٢٦ – دون القائد المغوار "إيعاح – مس" بن "إبانا" على جدران مقبرته المهمة بمدينة الكاب (الكاب هى "نخب" القديمة الواقعة على البر الشرقى لنهر النيل حوالى ٨٠ كيلومتر جنوب الأقصر)، نص نادر غاية فى الأهمية يقول فيه : "إنه قائد بحارة الملك "إيعاح مس" (أحمس)، خلال حروب التحرير المصرية ضد الهكسوس".ومن بين سطور هذا النص القديم يوجد عبارة تقول : "....عندئذ وقع قتال على صفحة الماء، فى قناة "بجد – كو" فى "أفاريس". ومن المعروف الآن أن "أفاريس" هذه كانت عاصمة الهكسوس إبان احتلالهم للدلتا، وهى منطقة "تل الضبعة" الآن بمحافظة الشرقية التليدة. إذن، كان هناك

---

(١) كتاب رمسيس الثالث قاهر شعوب البحر – تأليف بيير جراندبيه – ترجمة فاطمة عبد الله محمود – الهيئة المصرية العامة للكتاب

(٢) نفس المصدر السابق

معارك فى المصارف المائية والأنهار والترع وفى موضع آخر من النص يفتخر "إيعاح – مس بن إبانا" بأنه استطاع الإمساك بأسير خلال أحد المعارك فى الجنوب".....وهنا أحضرت معى أسيرا، ورجلا، ونزلت إلى الماء، انظروا، لقد أعيد وكأنه غنيمة أمسكت به على الطريق إلى المدينة: لقد عبرت الماء وأنا أحمله"[1]. ربما تكون هذه العبارة هى الأدلة التى تثبت أن نهر النيل أو فروعه أو المصارف المائية والبحيرات المنبثقة منه أو المحفورة بأيدى البشر أو المنفصلة عن النيل وذات مصادر مائية أخرى مثل المطر أو المياه الجوفية وغيرها، كان مسرحا لمعارك نيلية أو منازلات لأساطيل حربية على صفحات المياه المصرية.

٢٧ – من أجمل ماقيل عن نهر النيل كلمات "بن خلدون"(رائد علم الاجتماع الذى وصل إلى القاهرة فى أول ذى القعدة سنة ٧٨٤ هجرية، كتب يقول عن النيل : "قد مثل بشاطىء النيل نهر , ومدفع مياه السماء يسقيه العلل والنهل سيحه , ويجبى إليهم الثمرات والخيرات ثجة.[2]

٢٨ – عندما درس د.نبيل عبيد الحالات المدونة فى البرديات المصرية القديمة لمرض البلهارسيا (الاسم العلمى هو Schistosomiasis)

---

(١) نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة – بقلم: كلير لالويت – الترجمة للعربية: ماهر جويجاتى. دار الفكر.

(٢) مع... بن خلدون فى رحلته تحرير: خالد عزب ومحمد السيد. كتاب اليوم – مكتبة الإسكندرية.

وأطلق على المرض لاحقا اسم العالم الذى درسه و اكتشفه وهو"تيودور بيلهارس" وجد أن البلهارسيا قد ذكرت عدة مرات لا تقل عن الخمسين. ذكرت البلهارسيا ٢٨ مرة فى بردية "إيبرس" الطبية، ١٢ مرة فى بردية"برلين"، و٩ مرات فى بردية"هيرست"، ومرة واحدة فى بردية "لنن". وقد طلق المصرى القديم على مرض البلهارسيا اسم "عا" بالهيروغليفية. انعالم"روفر" أعلن أنه وجد بيض البلهارسيا فى كبد اثنان من مومياوات الأسرة العشرون. تم مناقشة الهيروغليفيات والأسماء للمرض بين العلماء فاتفقوا على بعض النقاط واختلفوا على البعض الآخر. ولكن تبقى فى النهاية مهارة الطبيب المصرى القديم فى محاولته لعلاج أو التعامل مع هذا المرض الخطير.أما الدكتور عالم المصريات "نن" فقد ذكر أنه فى عام ١٩٩٣م أعلنت منظمة الصحة العالمية أن حوالى ١٢٪ من المصريين مصابون بمرض البلهارسيا.وأكد "نن" أن فى مصر يوجد نوعان من الديدان المفلطحة من أصل ثلاثة أنواع رئيسية. ولكن تأتى المفاجأة من الدكتور"نن" أنه كتب يقول بل ويعارض الفكر السائد : "ويعتقد البعض أن الكلمة المصرية القديمة "عا" قد تعنى البول المصطبغ بالدم بسبب مرض البلهارسيا، وقد ذكرنا فى الفصل الثالث المعانى المحتملة لكلمة "عا" وليس منها البول الدموى أو البلهارسيا. وعلى كل الأحوال ينصح المؤلف الجميع بالبعد عن كل مصادر وأماكن وأسباب الإصابة بمرض البلهارسيا مثل السباحة أو النزول فى مياه بها "السركاريا" وهى الطور المعدى التى تخرج من القواقع والتى شرحها الطبيب المشهور "غليونجى"، قائلا إنها تخترق الجلد ثم تتجه إلى الأوردة الدموية حتى تصل إلى المثانة والمستقيم لتضع بويضاتها كما يشرح الدكتور "عمرو شريف" والدكتور "عادل

فلسطين" فى ترجمتهما لكتاب "جون نن": الطب المصرى القديم – مكتبة الشروق الدولية. وتخترق بويضات البلهارسيا المجارى البولية جدار المثانة وتخرج مع البول.

٢٩ – من هدايا نهر النيل إلى الحضارة المصرية بل وإلى حضارات العالم , نبات البردى الذى استفاد منه المجتمع المصرى القديم بداية من سيقانه التى تجمعت على هيئة حزم مرتبة ومربوطة ببعضها البعض ليصنع منه القوارب، إلى صنع السلال والنعال بل إلى الاستخدامات الطبية والطعام. ولكن يجب علينا أن نعترف بأنه إذا ذُكرت كلمة "بردى" فأغلب الناس سوف يترجم هذه الكلمة لأول وهلة إلى ورق البردى الذى تم الكتابة عليه. هذه الوثائق والمخطوطات واللفائف كانت ومازالت وسوف تكون دوما على درجة من الأهمية القصوى لنقل الأخبار التاريخية من الأزمنة القديمة وهى بذلك تكشف طبقة الغموض التى تكسو تلك الأزمنة. لم يكن استخدام البرديات كورق للكتابة والتدوين قاصر على المصريين القدماء ولكن تم أيضا استخدامه بكثرة فى العصور الإسلامية . ومنها على سبيل المثال لا الحصر خطاب من "قرة بن شريك" وإيصال خاص بدفع ضريبة مراعى (رقم ٢٣٠) بدار الكتب المصرية , وخطاب خاص بالقبض على هارب وتغريمه (رقم ١٨١) بدار الكتب المصرية[1].

---

(١) صور ومعلومات مهمة عن البرديات العربية للدكتور أدولف جروهمان – دار الكتب والوثائق القومية – ٢٠١٠م.

العـالم "أدولـف جروهمـان" النمسـاوى الجنسـية[1] ذكر فى محاضرتـه التى ألقاها فى قاعة الجمعية الجغرافيـة الملكية بالقاهرة فى مسـاء ٢٣ إبريل سنة ١٩٣٠م وطبعتها دار الكتب المصرية بالقاهرة وعربها الأستاذ "توفيق إسكاروس" رئيس القسم الإفرنجى بالدار ذكر أن أوراق بـردى تم اكتشـافها فى الفيوم كان مكتـوب عليها إيصالات الخراج ومسـح أراض وإيجارات الحكومة وعقـود مزارعة ومكاتبات الموظفـين فى قلم ضرائـب الأموال. وقد حرص الكثـير من دول العالم على اقتنـاء أوراق البردى القديمة ويطالب المؤلـف بعودتها جميعها إلى أرض الكنانـة مصر لأن هذا هو مكانهـا الطبيعى وعلى هذه البلاد إثبات حسـن النية بإرجاعها ومن الأمثلـة التى تصيبنا بالانبهار كما تصيبنا بالحزن , مثال يذكره الأسـتاذ "أحمد حامد" والدكتور "حسام عبد الظاهر"، وهى مجموعة من الأرشـيدوق "رينر" بفيينا – النمسـا والتى تصل إلى – استعدوا للمفاجأة المدوية – ٢٦٢٧ بردية، نعم أكرر ٢٦٢٧ بردية. شـخص واحد كان يمتلك تلك الثروة القومية. لو قارنت هذا الكنز بمجموعة البرديات الكائنة الآن بقسم البرديات

بدار الكتب المصرية سـوف تجد مفاجأة أخرى لأن عدد البرديات هناك يصل إلى ٣٧٣٩ بردية. يطالب المؤلف شـركات وزارة السـياحة بوضع زيارة دار الكتب ضمن برامج المزارات السياحية ليتعرف العالم على تلك الكنوز التى لا يعلم الكثير عنها شيئا.

---

(١) أستاذ زائر للتاريخ الإسلامى والآثار الإسلامية بجامعة فؤاد الأول خلال السنوات من عام ١٩٣٦م إلى عام ١٩٥٥م ونشر عدد من البرديات العربية بدار الكتب المصرية.

٣٠ – أسطورة عروس النيل التى انتشرت منذ زمن بعيد وذكرها "ابن عبد الحكم" فى كتابه "فتوح مِصر و أخبارها". و نقلها العديد من المؤرخين عنه. ومَفَادُها أن المصريين كانت لديهم عادة إلقاء "جارية بِكر" فى النيل بعد إرضاء أبويها وتزيينها بالحلى وأفضل الثياب لكى يجرى نهر النيل! . ثم جاء الإسلام إلى مِصر فى زمن أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ أوقف هذه العادة. والحقيقة أقولها لكم أعزائى القراء، إنى أجد هذه القصة عجيبة وغريبة بل وأسطورية الأجواء وضعيفة الإسناد، وأنا لا أصدقها للأسباب الآتية:

أ – العنعنة فى النص منقطعة، فلقد ذكر "ابن عبد الحكم" إنه: "حدثنا.....". ومن ضمن أسانيده الذين أخذ عنهم هم "ابن لهيعة" عن "قيس بن الحجاج" .....". ثم ذكر الكلمة التى شُرحت لى من قِبل عالم إسلامى أن معناها انقطاع فى سلسلة المحَدِثين المأخوذ عنهم الموضوع قال : " .....عن من حدثوا". ونحن لا نعلم من هو الذى حدثه أو هؤلاء الذين حدثوه, بمعنى أن "عن من حدثوا" هذه هى عبارة مبهمة ولا تذكر أسماء لكى يتم التحقيق والتأكد من مصداقيتهم, وبالتالى يكون تعريف الحالة هنا هو: "انقطاع". ومن وجهة نظرى المتواضعة نحن لا يجب أن نلصق قصة عروس النيل بالحضارة المصرية القديمة معتمدين فقط على أناس مجهولين لا نعرف حتى أسمائهم.

المصريون القدماء كانوا بشرا، لهم مالهم وعليهم ما عليهم، وقد أصابوا فى بعض العلوم والثقافات وأخطأوا فى مجالات أخرى. ولكن

هذه القصة لا أجدها منطقية أو مسنودة بسند أو أسانيد قوية وخصوصا عندما تم تقديم عدد من الورقات من قِبل عالم ديني بها أصل القصة، وعندما قرأت وجدت أن بعض العلماء لا يثقون في نقل "بن لهيعة"[1] إلى حد وصفه من قِبل أحدهم: "فرأيته كان يدلس"، و"فيها مناكير كثيرة" و"وجب ترك الاحتجاج برواية المتأخرين عنه بعد احتراق كتبه لما فيه مما ليس من حديثه" و"لا أحمل عن "بن لهيعة" قليلا ولا كثيرا" و"لا يوقف على حديثه ولا ينبغي أن يحتج به، ولا يغتر بروايته ". أما" قيس بن الحجاج" فقيل عنه: " لم ير "عمرو بن العاص" ولم يرَ "عمر بن الخطاب" وروى القصة عنهما عن طريق مبهم لم يُسَمّ ". ويؤكد موقع أنصار السنة الإلكتروني بطلان القصة بعبارة: "فالقصة باطلة واهية بالتدليس والطعن في "بن لهيعة" ورواية شيخه عن مجهول مبهم فهي من منكرات"بن لهيعة" التي يطول ذكرها".[2]

ب – كرر للأسف كتاب ومؤرخون كُثر هذه القصة الواهية بدون أن يدرسوا المناظر المنحوتة على جدران المعابد والمقابر المصرية القديمة

---

(١) وهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة بن فرعان الحضرمي المصري. قاضي الديار المصرية وعالمها ومحدثها في عصره، ولد ٩٧ هجرية / ٧١٥ ميلادية ومات ١٧٤ هجرية / ٧٩٠ ميلادية. الخطط المقريزية لتقي الدين المقريزي. تحقيق دكتور محمد زينهم ومديحة الشرقاوي – مكتبة مدبولي.

(٢) مجلة التوحيد. منتدى أنصار السنة. تحقيق قصة عروس النيل. حفيدة الحميراء. إعداد الشيخ على حشيش شبكة التواصل الاجتماعي.

والتى لم أرَ فيها، على مدار تسعة وعشرين عاما من الزيارات الميدانية وخلال عملى كمرشد سياحى أو دراستى فى كلية السياحة قسم إرشاد سياحى بجامعة حلوان , أى منظر صغير أو كبير , غامض أو مشروح , كامل أو منقوص يبين ويؤكد لى قصة إلقاء فتاة بكر فى نهر النيل كقربان وعروس لكى يأتى بالفيضان والطمى والخير والخصوبة. وربما يكون هذا تقصير منى فى مشاهداتى الآثارية وبالتالى فأنا فى انتظار خبر تاريخى مؤكد يأتى لى من آثارى أو مرشد سياحى أو أستاذ جامعى أو طالب مجتهد أو أى شخص محب لتاريخ مِصر ليرينى منظرا قديما أو نص على بردية أصلية وليست مستنسخة تقول إن قصة "قربان إلى النيل" هذه صحيحة. والله أعلم.

٣١ – لم تكن تهديدات إثيوبيا بتشييدها سد النهضة فى العصور الحديثة هى الأولى من نوعها فى تاريخ البلدين , فقد سبق و أرسل حاكم الحبشة بتهديدات إلى الملوك السلطان حاكم مصر أنذاك الناصر محمد ابن قلاوون بقطع النيل عن مصر. و قد ذكرها المقريزى فى السلوك، و دونها دكتور قاسم عبده قاسم فى " النيل و المجتمع المصرى".

٣٢ – توضح الدكتورة هالة الحفناوى أستاذ الميكروبيولوجى و رئيسة قسم البحوث الدوائية بهيئة الطاقة الذرية أن الماء يعتبر بيئة فقيرة من الناحية الغذائية إلا أنه يسمح بنمو وتكاثر الميكروبات.

تنقسم البكتيريا الموجودة فى المياه إلى:

١– مجموعة طبيعية

٢– مجموعة تصل إلى المياه من التربة والهواء والفضلات أثناء الجريان ، سقوط الأمطار ومياه المجارى.

الملوثات الميكروبية للماء :

مياه المجـارى هى أهم مصـدر لتلوث مياه الشـرب بالميكروبات المرضة.

سواء تسربها إلى الخزانات أو مصادر المياه (كالأنهار)

أهم الأمراض التى تنتقل عن مياه المجارى:

١- التيفويد

٢- الدوسنتاريا

٣- الباراتيفويد

٤- الكوليرا

الماء هو عصب الحياة, وأهم مكون من مكوناتها, وهو النعمة المهداة من الخالق -عز وجل -إلى مخلوقاته كى تسـتمر فى العيش إلى ما شاء الله لها..لذلك نهانا رسولنا الكريم ﷺ عن الإسراف فى استخدام الماء.

روى الإمـام أحمد (٦٧٦٨) وابن ماجة (٤١٩) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَقَالَ : مَا هَذَا السَّرَفُ يَا سَعْدُ؟ قَالَ : أَفِي الْوُضُوءِ سَرَفٌ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ).

وقال الشـيخ ابن عثيمين رحمه الله : "ولنعلم أن الإكثار من اسـتخدام الماء فى الوضوء أو الغسـل داخل فى قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

قاموس هيروغليفى نيلى:

- أبد : شهر
- أبد(باء بثلاث نقاط) : إوزة و طائر
- أحت : حقل
- آخت : الأفق
- إيام : شجرة (غير متعارف على نوعها)
- إيارو : بوص
- آخت : موسم الفيضان
- إيعاح : القمر
- إيو : جزيرة
- إيويت : شارع
- إيوا : ثور
- إيوف : لحم
- إيوح : مياه وري
- إيوتن : أرض
- إيبى (باء بثلاث نقاط) : يكون عطشان
- إيب (باء بثلاث نقاط) : يحسب ويعد
- إيمو : قارب
- إيمحت : العالم السفلى
- عخمت : بر النهر

- إيت : شعير
- إيترو : نهر
- إيدب : مساحة مزروعة وبر (نهر)
- إيدبوى : بران (أى مِصر)
- يم : بحر
- ع : ذراع
- عت : منزل أو غرفة
- عا : حمار
- عوت : ماعز وقطيع
- عب : قرن
- عفف : ذبابة
- عمعت : طين , طمى
- عنخت : معزة
- واحيت : زفلاة (فى الذرة)
- واست : طيبة (الأقصر الآن)
- وادج : عامود على شكل نبات البردى
- وعبت : لحم
- مو : مياه
- وبن : صعود الشمس
- ونمت : طعام

- وحع : صائد سمك
- وسر : مجداف
- ودجا : محل ومخزن
- وادجبو : شط
- ودجنو : فيضان
- باو : قارب للترفيه
- بابات : تيار مائى جارى
- باستت : الربة القطة المقدسة الأسطورية
- بيك : صقر
- بحس : عجل
- بخن : قلعة وبرج
- بو (باء بثلاث نقاط) : يطير
- مياو : قطة
- مينب : فأس
- منيو : راعى الغنم
- منو : أشجار
- منح : نبات بردي
- مر : قناة أو مصرف
- مريت : ميناء
- مرو : صحراء

- مح : ذراع
- معح : كتان
- محت : طبق
- محو : صائد السمك بالحربة
- محيت : سمك
- مسنو : صائد فرس النهر
- مسح : تمساح
- نيو : نعامة
- نيوت : مدينة وقرية
- نعى : السفر بالقارب
- نوو : صيادون
- رم : سمكة
- رن : غنم صغير السن
- هب : طائر أبى منجل
- همت : أجر للمعداوى
- حام : الإمساك بالسمكة
- حاتيو : كتان
- حعو : مراكب
- حب : عيد
- حررت : وردة

- حست : جرة مياه
- حسب (باء بثلاث نقاط) : حديقة
- حقر : يكون جوعان
- و - خاى : حبل مقياس (مثل المازورة)
- خاب : فرس النهر
- خاستيو : قاطنى الصحراء
- خبس : يزرع
- خمعت : يد أو مقبض مجداف
- خمنتيو : مراكب من نوعية خاصة
- خرش : حزمة خضروات
- خت : خشب
- خدى : السفر إلى الشمال و الإبحار أسفل المجرى أو تحت التيار
- تاش : حدود
- توت : تجمعوا , يكون متجمع مع بعض
- تم : مكتمل
- تر : موسم ووقت
- تخن : مسلة
- تشت : طاولة طعام
- داب : تين (جمع)
- دبت(باء بثلاث نقاط) - نتشر : قارب مقدس

- دقرو : فاكهة
- دجروى : لون
- دجردج : ورقة شجر
- عنيت : بحارة
- مغنت : معدية
- ساو : يحمى
- سبك (تنطق الآن سوبك) المعبود الأسطورى التمساح
- سبت : يضحك
- سبات (باء بثلاث نقاط) : إقليم
- سبدت (باء بثلاث نقاط) : النجمة المسماة الشعرى اليمانية
- سم : نبات وعشب
- سمح : قارب خفيف
- سنم : مطر غزير
- سر : كبش وخروف
- سخمخ إيب : ترفيه عن القلب (رياضة)
- سسمت : حصان
- سشن : زهرة اللوتس
- سشر – نسو : كتان ملكى
- سشر : ذرة
- سقدى : السفر بوسيلة المياه (نهر أو بحر)

- سكا : يحرث (فى الأرض)
- ستت : المعبودة ساتيت التى عُبدت فى منطقة الشلال الأول
- تا - سيتى : أرض القوس(النوبة)
- تا - ش : أرض البحية (الفيوم الآن)
- شا : حمام سباحة زهرة اللوتس
- شعى : رمال
- شفدو : لغة بردى
- شمعو : مصر العليا (الجنوب الآن) ويحدده العالم "جاردنر" بأنه من أسيوط أو الأقصر إلى إلفنتين فى أسوان
- شمعيت : مغنى
- شمو : صيف وحصاد (فصل فى التقويم السنوى)
- سشمو : يسخن , شمم : يكون ساخن
- شنوت : شونة (مخزن للحبوب)
- شس : حبل
- شسبت (باء بثلاث نقاط) : خيار
- شدت : مدينة الفيوم
- شديت : تل
- قايت : أرض عالية
- قاو : حبوب
- قاقاو : نوع من القوارب

- قبحو : طيور الأحراش
- قفن : بسكويت وكيكة (فطيرة)
- قرر : ضفدعة
- قرحت : إناء
- كم – كمت : السمراء (مصر فى منطقة وادى النيل)
- جاوت : حزم (جمع حزمة)
- جبب : إوزة ذات مقدمة بيضاء
- جمت : أبى منجل الأسود
- تا : أرض

■ ■ ■

خاتمة:

من قلبى ومن داخل أوردة جسدى التى تنبض بحب الوطن والشعب المصرى أوجه إليكم نصيحتى الأخيرة. الآن وقد قرأتم هذا العمل المتواضع، وارتحلتم فى دهاليز تاريخنا الضارب فى القِدم والمتفرد فى الإنجازات، الآن وقد درستم هبة الخالق سبحانه وتعالى قبل كل شىء، الآن وقد تم سرد العديد من صفات هذا النهر العجيب وما يحويه من كائنات وما يعيش حوله من مخلوقات غاية فى الجمال , سبحان المبدع، الآن وقد تعلمنا سويا أهمية نهر النيل للإنسان كمصدر للحياة سببه الله سبحانه وتعالى فى الكثير والكثير من الخيرات، فأرجوكم حافظوا على كل نقطة مياه فيه، حافظوا عليه بألا تسرفوا فى استخدام المياه سواء أكان فى الاستخدام المنزلى أو فى الحدائق وغسيل السيارات , ورش الشوارع وغيرها من الاستخدامات الخاطئة. حافظوا على نظافته بأن لا تلقوا بشىء فيه وعلموا أبناؤكم وأحفادكم نفس الشىء. اهتموا بتعليم النشء تاريخ نهر النيل وأهميته ليبقى لنا دائما وأبدا، نهر النيل شريان الخير.

المؤلف

٢٠١٤/٤/٢٢م

فهرس

مقدمة: ٧
تاريخ التكوين ٩
أصل كلمة إفريقيا ١١
حضارات بشرية إفريقية ١٢
الشلالات ١٣
سبب الحضارة ١٤
أمثلة للإنسان المصرى فى عصور ما قبل التاريخ ١٥
نهر النيل فى عصر الأسرات ١٧
مقياس النيل ١٧
أصل تسمية "نيل" ١٩
فروع الدلتا ٢١
النيل فى معبد فيلة ٢٢
النيل يوحد مصر ٢٣
التقويم وفيضان النيل ٢٤
الساحون والفيضان ٢٦
خيرات النيل ٢٨

أقوال وحكم وأناشيد ٢٩
خريطة النيل للإدريسى ٣٨
القناطر والمصرى الشـاطر ٤٣
كنوز نهر النيل ٤٤
الترعة الكبيرة ٤٧
النيل فى سيناء ٤٧
نهرذو ألوان ٤٨
النيل والنظام ٤٩
عروسة قمح نيلى ٥٣
حيوانات نهر النيل ٥٣
قانون الضرائـب ٥٤
كلمات مصرية قديمة ٥٥
بحيرات لوَّنها النيل ٥٦
طيور حلقـت فوق النيل ٦٦
النهر حديثًا ٦٧
فى حضن النيل ٦٨
ولادة نهر النيل فى سطور ٦٨
من هو شـاعر النيل؟ ٧١
نشيد النيل ٧٣
شيخ الشـعراء ونهر النيل ٧٣

روضة النيل وشاعر السيف والقلم ٧٤
أحمد محرم وإهداء النيل ٧٤
البدوى ونيل الوحـدة ٧٥
تمثال النيل بمتحف الفاتيكان ٧٦
الملك والسمكة ٧٧
منظر نيلى بديـع ٧٩
عقد زواج على نبات نيلى ٨٠
ورود ونباتات وأعشـاب علاجية ٨٢
زيارة لم تتـم ٨٣
المسـلة الأولى ٨٣
المسـلة الثانية ٨٤
إنقاذ نهر النيل ٨٥
معلومات مهمة وتاريخية ٩٠
قاموس هيروغليفى نيلى ١٢٣
خاتمـة ١٣١

اشترك فى سلسلة اقرأ تضمن وصولها إليك بانتظام

الاشتراك السنوى :

- داخل جمهورية مصر العربية ٦٠ جنيها.
- الدول العربية واتحاد البريد العربى ٨٠ دولارا أمريكيا.
- الدول الأجنبية ٩٠ دولارا أمريكيا.

تسدد قيمة الاشتراكات مقدما نقدا أو بشيكات.

بمجلة أكتوبر ١١١٩ كورنيش النيل - ماسبيرو - القاهرة